

كتاب الجمهورية



مكتبة الإسكندرية

الحريق.. والإحياء

د/ شعبان عبد العزيز خليفة

2006  
2007

# كتاب الجمهورية

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

**سمير رجب**

رئيس التحرير التنفيذي

**د. فتحى عبدالفتاح**

نوفمبر ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع ١٦٩٣٥ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى - ٣٠٧ - ٣٣٦ - ٩٧٧ ISBN

**كتاب الجمهورية**

**مكتبة الاسكندرية  
الحريق .. والاحياء**

**د. شعبان عبد العزيز خليفة**

الإشراف الفني :

**مصطفى كامل**

## توطئة

تعتبر مكتبة الاسكندرية القديمة أكبر وأضخم مكتبات العصور القديمة والوسطى على السواء؛ حفظت الفكر الانساني لمدة تطول إلى ستة قرون على الأقل وقد تمتد في نظر البعض إلى تسعة قرون عددا.

ولم تكن مكتبة الاسكندرية مجرد مكتبة لحفظ وتنظيم وتحليل وتيسير الاغادة من مصادر المعلومات ولكنها كانت أكاديمية كاملة لترقية العلوم وتطويرها ومكانا لاجراء التجارب ومدرسة لتعليم العلوم ومكانا للبحث والدرس يؤمه العلماء من كل حذب وصوب.

يبد أن مكتبة الاسكندرية كانت لغزا في نشأتها وكانت لغزا في مصيرها ونهايتها. هي لغز لم نستطع حتى الآن حله فيمن أنشأها والدوافع الحقيقية والأسباب الكامنة خلف إنشائها، هي لغز في مصيرها ونهايتها؛ متى اختفت المكتبة من الوجود؟ وكيف اختفت؟ هل احترقت أم حُرقت؟ من أحرقها؟ هل هم الرومان أم المسيحيون أو المسلمون؟ وإذا لم يكن الحريق هو السبب في اختفائها فلماذا لم يصلنا منها شيء البتة؟ هل اختفت بفعل الشيخوخة وعوادي الزمن الطيمية؟

المشكلة الحقيقية في الإجابات على كل هذه الأسئلة هي أننا لا نملك أية أدلة ثقيلة مادية وكل ما لدينا هو أدلة عقلية ومرويات وسوف نحاول على الصفحات التالية أن نبسط تاريخ مكتبة الاسكندرية القديمة نشأة ومصيرها عارضين لكل وجهات النظر التي قيلت في هذا الصدد.

وفي نهاية القرن العشرين جرى مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية أي بعد نحو خمسة عشر قرنا من اختفائها؛ وسوف نحاول أيضا في نهاية بحثنا هذا أن تعرض لخطوط مشروع الإحياء القائم وما وصلت إليه الجهود المبذولة في هذا السيل.

والله من وراء القصد،

أ.د. شعبان عبدالعزيز خليفة

رئيس قسم المعلومات

آداب القاهرة



## **قائمة المحتويات**

### **الفصل الأول**

- ٧ الاسكندرية القديمة والحضارة الهلينية

### **الفصل الثانى**

- ٣٧ تأسيس وقيام مكتبة الاسكندرية القديمة

### **الفصل الثالث**

- ٥٩ مجموعات مكتبة الاسكندرية القديمة وفهارسها وتصنيفاتها

### **الفصل الرابع**

- ٨٧ مصير مكتبة الإسكندرية القديمة

### **الفصل الخامس**

- ١١١ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية





---

## الفصل الأول

### الاسكندرية القديمة والحضارة الهلينية

---

أنشأ الاسكندر الأكبر في كل بلد يغزوه ويفتحه مدينة تعرف باسمه «الاسكندرية» وربما يكون قد خطط لإنشاء مكتبة فيها أيضاً أو أنشأها بالفعل. بيد أن اسكندرية مصر كانت أجمل الاسكندريات على الإطلاق. وقد وقفت على عبارة في وثيقة قديمة تؤكد على هذا المعنى تقول العبارة «نعم هناك مدن كثيرة ولكنها مدن محلية وتبقى الاسكندرية مدينة العالم كله».

ولعل مصدرنا الأساسي عن مدينة الاسكندرية القديمة هو كتاب سترابون المسمى الكتاب السابع عشر والذي وصف فيه المدينة حوالي ٢٤ ق.م. ومعظم من كتبوا عن تأسيس مدينة الاسكندرية يعتمدون عليه.

لقد حقق الاسكندر الأكبر انتصاراً سهلاً على الفرس في مصر وكان من اليسير عليه الاستيلاء عليها. ومن ثم كان عليه أن يظهر الود والاحترام للمصريين وألهتهم وأن يتلقى بركات الإله آمون إله مصر الأعظم في واحة سيوة وبالتالي أبخر من مميس (ميت رهينة) في النيل إلى البحر الأبيض عند كانوبوس المصب (الفرع) الغربي للنيل. وقد دارت سفنه حول بحيرة المريوطية ورست هناك. وكانت هناك على اليابسة قرية صيادى السمك المصريين تسمى راكوتيس (راقودة) وهي عبارة عن لسان من الأرض عرضه نحو أربعة كيلومترات وطوله بين البحر والبحيرة نحو سبعة كيلومترات تمثل شاطئ البحر في تلك المنطقة وتقع جنوب هذا اللسان بحيرة المريوطية وكانت واحدة من بحيرات كثيرة انتشرت في دلتا النيل آنذاك (وهي شبيهة ببحيرات ومستنقعات دلتا الميسيسي). وشمال هذا اللسان كان هناك بطبيعة الحال البحر الأبيض المتوسط وتظهر فيه في تلك البقعة جزيرة طويلة ضيقة هي جزيرة فاروس التي تبعد عن الشاطئ بنحو ميل وهي تحمي الشاطئ خلفها من الرياح والعواصف والأمواج العاتية وتؤمن أساسيات الميناء الآمن المطنن الذي يجمع ملاح الطبيعة وصنعة الإنسان حيث تم مد

جسر بين هذه الجزيرة وبين الشاطئ بطول ٤٢٧٠ قلماً أى بنحو ١٣٠٠ متر. ونتيجة لإنشاء هذا الجسر أصبح هناك ميناءان أحدهما شرقى عرف بالميناء الكبير والثانى غربى عرف بالصغير أو المود الحميد. وكان الميناء الشرقى هو بطبيعة الحال أهمها فى العصرين البطلمى والرومانى.

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر طيبس (بتقويمنا الحالى العشرون من يناير سنة ٣٣١ ق.م) من تمديد الاسكندر الاكبر لموقع المدينة فى المكان المذكور بدأت أعمال تأسيس مدينة الاسكندرية المصرية وقد أصدر الاسكندر قراره الشهير بذلك. وهذا التاريخ هو الذى جرى عليه الاحتفال السنوى بقيام مدينة الاسكندرية طوال الحقبة الهلنستية. وقد كان الاسكندر يتابع بنفسه أعمال التخطيط والتصميم ووضع حدود المدينة وتمديد مواقع معابد الآلهة والأعمال العامة. ولقد عهد الاسكندر الاكبر إلى مهندس المعماري الذى صاحبه فى حملته على مصر: دينوقريطس بوضع المخطط العام وتنفيذ بناء المدينة التى أريد لها أن تأتى مترامية الأطراف فخمة المباني تتوسط العالم المتحضر المعروف آنذاك سيدة التجارة من الشرق والغرب مركز الفنون والأدب والفكر فى العالم. وقد وعد دينوقريطس بإقامة مبانٍ تناطح السحب؛ وقصور غاية فى الفخامة ومعابد تشيع الرهبة والطمأنينة.

وهكذا فى شتاء سنة ٣٣١ ق.م، كانت أعمال الانشاء قد بدأت فى المدينة مدينة الاسكندر ابن فيليس المقدونى؛ المدينة التى لم يرها الاسكندر نفسه أبداً والتي ربما يكون قد دفن فيها جثمانه ودفرت عليها روجه. وقد عين الاسكندر بعد مغادرته مصر كليومينس واليا عليها وجاليا لضرائبها. وقد كان واليا سيء الخلق جشعا يمارس القس والخناع مع كل خلق الله من نهار إلى مرقطين إلى كهنة وقد قال فيه أريان إنه شيطان بشرى ارتكب أبشع القذاعات فى حق مصر.

وما يعنينا من ذكر هذا الرجل كليومينس هنا هو أنه بدأ بناء الاسكندرية حيث قال عنه أرسطو أن الاسكندر الملك قد ألقى إليه الأمر أن ينشئ المدينة قرب جزيرة فاروس وأن ينزل إليها الأسواق التى كانت موجودة فى كانوبوس. ويصفه البعض بأنه هو

الأخر كان مهندساً معمارياً إلى جانب دينوقريطس. ونحن فى حقيقة الأمر لا نعرف على وجه التحديد ماذا قام به كليومينس النوقريطى فى بناء مدينة الاسكندرية. ولقد مات الاسكندر سريعاً سنة ٣٢٣ ق.م. وعند توزيع امبراطوريته أصبحت مصر من نصيب البطالمة، واستمر كليومينس فى ظل بطليموس الأول جاليا للضرائب وقد شك فى أمره بعد ذلك وحكم عليه بالاعدام وصودرت ثروته الضخمة التى كونها من دماء الناس.

ومن هنا يتفرد دينوقريطس بدور المعمارى الوحيد فى بناء الاسكندرية، وقد أقام بالفعل المباني الرئيسية فى المدينة. وقد نمت المدينة فى عهد بطليموس سوتر (أول مرزبان على مصر حتى ٣٠٥ ق.م ثم ملكاً على البلاد حتى ٢٨٣ ق.م) وبطليموس الثانى فيلادلفوس ابنه نمواً سريعاً على الرغم من أن جميع الحكام البطالمة بعدهما أحاطوها بما تستحقه من عناية وتطوير. وقد ظلت المدينة الرئيسية فى العالم القديم منذ وفاة الاسكندر الأكبر ٣٢٣ ق.م وحكم بطليموس الأول حتى النصر النهائى لحفيد قيصر المحظوظ أوغسطس ٣٠ ق.م - كليو باترا، حين أخذت تتوارى عن الانظار وتخفت من حولها الأصواء.

ويسجل لنا القدماء وعلى رأسهم استرابون وبلوتارخ المخطط العام للمدينة وهو على هيئة الكلامس اليونانى أى العبادة العسكرية. لقد كانت المدينة تغسل بمياه البحرين: المتوسط من الشمال وبحيرة مريوط من الجنوب، لقد شيدت المدينة على رقبة ضيقة من اليابسة تنتشر فيها تلال غير منتظمة الارتفاعات تجرى من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى لمسافة تقترب من ستة كيلومترات وعرضها غير منتظم ويقترب من نصف الطول ويبلغ قطر المدينة نحو خمسة وعشرين كيلو متراً داخل أسوارها.

وقد قسمت المدينة من الداخل على أساس العرقيات أو الجنسيات التى كانت تقطنها أو تقيم فيها وذلك على النحو الآتى:

١ - حى المصريين وهم أهل البلد الأصليون وكان يطلق عليهم الراقوط وفى هذا الحى قام معبد النيرايبوم.والذى اعتبر أهم مبنى فى تلك المدينة بل فى كل أنحاء

العالم ولم يكن ييزة سوى الكايتول فى روما.

٢ - حى البروكيوم (وأحيانا البروكيون) أو ما أطلق عليه الحى الملكى اليونانى المقدونى  
والذى كان يحتل واجهة الميناء الكبير كلها ابتداءً من قنة التل لوكياس وحتى  
حاجز الأمواج. (هيتاستاديوم) الذى كان يربط المدينة بجزيرة فاروس. وفى هذا  
الحى الملكى كان يسكن اليونان والمقدونيون والأجناس الأخرى الكثيرة من أوروبا  
وآسيا التى وفدت لتعيش فى الاسكندرية وفى هذا الحى أيضا نصادف اللواوين  
الحكومية وحوادث التجارة الرئيسية والمباني العامة الفخمة الكبيرة وفوق كل هذا  
ضريح العظماء (سوما) المتصهرين؛ والمتحف الكبير بمكتبته ذاتمة الصيت موضع  
كتابنا هذا وملحقاتها مثل مسرح المحاضرات العامة والمرصد الفلكى وكانت تربط  
فيما بينها بيهو أعمدة رائع وفخم مصنوعة من الرخام المصرى النادر، وخلف هذا  
كله وعلى الشريط الممتد على قنة تل لوكياس ووسط الحدائق الغناء وصفوف  
الأشجار الباسقات والنباتات والورود والزهور قامت قصور البطالة، صفوف من  
المباني الفخمة الفسيحة والعزب التى امتدت حتى قلب المدينة اليونانية.

٣ - الحى اليهودى. ومن المدهش أنه كان من الامتداد والاتساع بحيث يعدل الحى  
اليونانى نفسه أى الحى الملكى وكانت له أسواره الخاصة به التى تفصله عما  
سواه. وفى هذا الحى كانت تسكن الجالية اليهودية الضخمة، ولا يجب اعتبار هذا  
الحى بمثابة جيتو لليهود ولكنه كان فى حد ذاته مدينة قائمة بنفسها يحكمها  
الإنتارش اليهودى مباشرة ولهم المجلس الخاص بهم والقوانين الخاصة المنظمة  
لشئونهم. وكانت هناك معارك ومشاجرات مستمرة وكثيرة بين اليونانيين واليهود  
فى الاسكندرية مما أدى إلى إلغاء الامتيازات الخاصة الممنوحة لهؤلاء اليهود، تلك  
الامتيازات التى كانت تنقلص أو تزداد (وخاصة فى ظل الرومان) طبقا للأوضاع  
السياسية المتغيرة التى كانت تتعاور تلك المدينة المضطربة.

وإذا كانت تلك هى الأحياء الثلاثة الرئيسية فى مدينة الاسكندرية، فقد ورد فى

المصادر أن المدينة ككل كانت مقسمة إلى خمسة أقسام تحمل الحروف الخمسة الأولى من الأبجدية اليونانية: ألفا، بيتا (ويقع فى نطاقهما قصور الملوك البطالة والمتحف والمكتبة وضريح العظماء (سوما) أو ضريح الاسكندر كما أطلق عليه)؛ جاما، دلتا (ويقع فى نطاقهما الحى اليهودى)؛ إيسلون (وأغلب الظن أنه كان يقع فى نطاقه الحى الوطنى). وللأسف لا نعرف على وجه التحديد مواقع هذه الأقسام الثلاثة الأخيرة الآن.

وفى داخل الأحياء الثلاثة: المصرى واليونانى واليهودى ذات الأقسام الخمسة المرقمة هجائيا كان السواد الأعظم من السكان ينقسم إلى جماعات أو طبقات اجتماعية يمكننا أن نتميز أهمها:

- ١ - طبقة الأثرياء الشرقيين المرفهين.
- ٢ - طبقة العسكريين المقدونيين.
- ٣ - طبقة اليونانيين من اليونان الأم والجزر المحيطة فى البحار الهلينية.
- ٤ - طبقة اليونانيين ذوى الأصول الأفروآسيوية والذين انحدروا أساساً من كيرين وقاليدونيا.
- ٥ - طبقة السوريين وكل ولايات آسيا الصغرى.
- ٦ - طبقة العرب والبابليين والآشوريين والميديين والفرس.
- ٧ - طبقة الأيريين ومن والاهم من وراء أعملة هرقل وما وراء الهند.
- ٨ - طبقة القرطاجنيين والإيطاليين والغاليين.
- ٩ - طبقة المفكرين والباحثين والشعراء والنقاد والعلماء والفنانين من كل فئة وروضاء المتحف والمكتبيين فى المكتبة.
- ١٠ - التجار من جميع أنحاء العالم ومن مصر.

١١ - طبقة اليهود وهم كثيرون ومهمون.

١٢ - طبقة العامة والتي تتراوح من المشتغلين بالسياسة (من غير المصريين) إلى طبقة العمال والحرفيين (وهم أساساً من المصريين).

١٣ - طبقة العبيد من جميع أنحاء الأرض سواء عبيد الحكومة أو عبيد الخاصة وهم الروصمة التي وصفت الحضارة القديمة وخاصة الكلاسيكية.

لقد وصلتنا قطعة يردى ترجع إلى القرنين الثاني والثالث بعد الميلادى تعرف باسم «نبوءة الخزافين» نجد فيها أحسن عبارة لوصف مجتمع هذه المدينة «هذه المدينة كانت حضارة عالمية، استقر فيها ناس من كل جنس».

وكانت الاسكندرية منذ إنشائها واحدة من أجمل مدن العالم. لقد ران على روما أكثر من سبعة قرون كى تتحول من بيوت الطوب إلى بيوت الرخام فى عهد الامبراطور أوغسطس، بينما بدأت الاسكندرية بالرخام منذ مولدها وخططت المدينة طبقاً لأعظم وأروع تخطيط معمارى بحيث تقوم على شوارع واسعة عريضة بزوايا قائمة مع شوارع جانبية عريضة هى الأخرى بما يسمح للخيل وعربات الخيول أن تسير فيها بسهولة.

لقد قطع شارعان كبيران المدينة إلى أربعة أجزاء غير متساوية، وتم رصف هذين الشارعين بمربعات من الجرانيت. كان أحد الشارعين هو الطريق الكانوبى الشهير بالميزونبديوم ويبدأ هذا الشارع عند بوابة كانوبوس فى الحى اليهودى ويمتد لمسافة ستة كيلومترات تقريباً من الشمال الشرقى وحتى الجنوب الغربى مخترقاً الحى الملكى ويخرج من الحى المصرى (راقوط) عن طريق بوابة تكروبوليس وحيث يوجد فى غربى المدينة ما عرف باسم «مدينة الموتى». والشارع الرئيس الثانى كان يمتد من الجنوب الشرقى حتى الشمال الغربى أى من بوابة الشمس على بحيرة مريوط أو بالقرب منها حتى بوابة القمر حتى حاجز الأمواج الذى يربط الحى الملكى بجزيرة فاروس وإلى الشرق أكثر مع الميناء الكبير. لقد كان عرض الشارع من هذين الشارعين أكثر من

ثلاثين متراً (١٠٠ قدم)؛ وكانا يتقاطعان بزاوية قائمة عند حي البروكيوم أى الحي الملكي أو اليونانى. وعلى جانبي كل شارع منهما كان هناك صف من الأعمدة الرخامية كانت تحتلها مناطق مغطاة لحماية المشاة من العواصف والأمطار على نحو ما نصادفه اليوم فى شوارع بولونيا المغطاة.

وكانت باحات الشوارع تزين بالآثار التى يبرز بينها عدد كبير من السلالات وأبو الهول التى تذكر المصريين العظماء بسالف زمانهم ومجدهم.

والى جانب الشارعين الكبيرين كان هناك على الأقل سبعة شوارع أخرى أصغر متوازية معها على امتداد طول المدينة مع الشارع الطولى الكبير ولكن الواحد من تلك الشوارع لم يكن يزيد طوله عن ثلاثمائة متر (١٠٠٠ قدم)، كما كان هناك على الأقل أحد عشر شارعاً تمتد بالتوازي مع وتضم شارع الشمس - القمر (أى الشارع المتقاطع الكبير) وكان طول الواحد منها نحو أربعمائة متر (١١٠٠ قدم) وكان هناك سلسلة متواصلة من الشوارع العمودية يعرض المدينة.

وكانت مساكن المدينة حتى فى المناطق المتواضعة تبنى أساساً من الحجر، ولا تستخدم فيها الأخشاب فى الأرضيات وتقوم الأسقف على عقود من الحجر أيضاً. وكانت هناك قنوات توصل مياه النيل إلى البيوت وكانت المياه تنقى أساساً قبل أن تصل إلى البيوت. وكانت أسطح البيوت تغطى بطبقة من اللبن أو الحجارة. وكان لعدم استخدام الخشب فى الأرضية أو السقوف والأسطح ميزة مقاومة الحريق قدر الامكان أكثر من أية مدينة أخرى فى العصور القديمة.

ولم تلبث المدينة مع مر السنين أن توسعت توسعاً كبيراً خارج الأحياء الثلاثة الموجودة على الشريط الأساسى وفى جزيرة فاروس.

ونشأ خارج تلك المناطق أسواق تجارية كبيرة ومصانع مختلفة، ومعاهد للثقافة والفكر متنوعة، ومساكن لأناس جاءوا إلى المدينة من دول مختلفة. ولقد ازدحم الميناءان بالسفن الراسية والغادية والقادمة. وكان هناك ميناء على كل جانب من جانبي الهيئاتاديروم حيث كانت تأتى السفن من كل حذب وصوب وكانت هناك مخازن

ضخمة تقع إلى الغرب من حاجز الأمواج لتخزين الحبوب والمتوجات التي يتجها وادى النيل الخصب، تمهيدا لتصديرها إلى بلاد اليونان والرومان وكانت هناك سلاسل رخامية تتدرج من تلك المخازن إلى مياه البحر لتسهيل التحميل والتفريغ.

ولقد كانت هناك ثكنات ومنشآت عسكرية للمجنود المقدونيين والمترتبة ومصانع للأسلحة لزوم الحروب وكانت هناك ملاعب وستاد رياضي ومساحات لسباق الخيول وعربات الخيول. كما شوهدت مساح للمحاضرات العامة والقراءات العامة والمسرح اليوناني المكشوف للمسرحيات وحيث كان المشاهدون يمكنهم من مقاعدتهم أن يروا شعلة فانار فاروس إحدى عجائب العالم القديم. ويعتبر هذا الفانار هو النموذج الذي أنتجت عنه كل الفانارات. هذا الفانار الذي بناه سوستراتوس السيدي، بلغ ارتفاعه ٥٩٠ قدما (حوالي ٢٠٠ متر) ويقال إنه استمر ولو جزئيا في الوجود حتى القرن الرابع عشر حين دمره الزلزال والقي به في البحر. وقد انتشر المسرح الكوميدي إلى حد كبير في الاسكندرية كما انتشر مسرح العرائس وكان صاحب هذا الاختراع هو المهندس العظيم هيرون الذي أبدع كثيرا من مسرحيات العرائس تلك. وانتشرت في الاسكندرية معابد الآلهة جميعا وخاصة آلهة اليونان والمصريين كلها تجمعت في السيرابيوم وحيث كان من المألوف أن يجتمع اليونان والمصريون في عبادة جماعية عامة. لقد أقيم البانيوم (مراة مقلد) على ريو صناعية ومن يتسلق تلك الريوه ويصل إلى قمة البانيوم يستطيع أن يرى الاسكندرية كلها. وكانت هناك حدائق للحيوانات البرية وحدائق للنباتات الاستوائية وفوق كل ذلك كان هناك شيء لا يوجد في أية مدينة في العالم القديم ألا وهو متحف ومكتبة الاسكندرية.

لقد وصف ائيليس تاتيوس آخر القضاة اليونانيين وربما يكون قد استقر نهائيا في الاسكندرية، وصف هذه المدينة الجميلة في افتتاحية كتابه القصصى الخامس «كليتوفون وليوسى» وجاء في هذا الوصف: «بعد رحلة استمرت ثلاثة أيام وصلنا إلى الاسكندرية وقد دخلتها من بوابة الشمس كما كانت تسمى وقد ووجهت منذ اللحظة الاولى بجمال وفخامة المدينة التي ملأت عيني بالبهجة. ومن بوابة الشمس



وحتى بوابة القمر - الحارسان المقدسان للمداخل - كان هناك صفان مزدوجان من الأعمدة على جانبي الطريق وفي الوسط كان هناك الجزء المكشوف من المدينة ويخرج من هذا الطريق شوارع جانبية عديدة. وعلى بعد مئات قليلة من الیارات وصلت إلى حي جديد أنشئ بعد وفاة الاسكندر مما يعتبر مدينة ثانية. وهذه المدينة الثانية كانت مقسمة إلى ميادين تقوم عليها صفوف من الأعمدة تتعامد عليها صفوف أخرى بزوايا قائمة ولقد حاولت أن أسرح الطرف على امتداد كل شارع ولكن عيني لم تكن تستطيعان الاثام بكل جمال الشارع مرة واحدة ولقد استطعت أن التقط بعض المناطق بعيني والبعض الآخر لم أستطع، وكل ما وقعت عليه عيناى كان جميلا. ولقد جاهدت حتى أرى جميع الشوارع. وأخيرا كلت عيناى من كثرة النظر إلى هذا الجمال. ولقد تسمرت أمام حقيقتين هامتين إزاء تلك المدينة الأولى علم قدرتى على المقاضلة بين ما هو أعظم وما هو أفخم وما هو أجمل: المدينة نفسها أم سكانها لأن الأولى كانت كبيرة جدا مثل قارة والثانية كانت أكبر من أن تحصى؛ لقد كانت أمة بأكملها. أما الحقيقة الثانية فإنها تأتت من كثرة نظرى إلى المدينة وتعجبى هل يستطيع أى جنس أن يملأها عن آخرها وكلما نظرت إلى السكان تعجبت هل تستطيع أى مدينة أن تستوعبهم جميعا. لقد كانت معادلة رائعة.

لقد تصادف وقت وصولى الاحتفال المقدس بإله الاغريق الأكبر المسمى زيوس وكذلك احتفال المصريين بـسيراميس، وكان هناك مواكب متلاحقة من حملة المشاعل. ولقد كان أعظم احتفال شاهدته فى حياتى فقد كان الوقت مساءً وقد غربت الشمس ولم تكن هناك أية علامة على الليل من شدة الضوء كما لو كانت ثمة شمس أخرى قد سطعت ولكنها موزعة على قطع صغيرة فى كل اتجاه ولقد قر فى ذهنى أن السماء تحمد المدينة على كل هذا الجمال.

والى جانب هذا الوصف الرائع الذى قدمه لنا الرواى السكندرى أنجيليس تاتيرس، نضيف بعض ما ذكره الجغرافى الرابع سترابون الذى زار مصر أيام أوغسطس وعاش فى الاسكندرية (٢٠٥ق.م - ٢٠ق.م) مما يعتقد أنه استلهم مكتبة الاسكندرية فى

أبحاثه واقتبس الكثير من أعمال المؤلفين الذين اقتنت المكتبة أعمالهم على نحو ما نصادفه في كتابه (الجغرافيا) والوصف الذي قدمه لنا يبدأ منذ دخوله الميناء الكبير وحيث عن يمين الدخول إلى الميناء نصادف جزيرة وبرج فاروس وعلى اليسار نجد سلسلة الخواجز وقناة تل لوكياس وعلى قمته القصر الملكي وعندما نبحر قليلا داخل الميناء نجد على اليسار بقية من القصور الملكية التي تتبع القصر الموجود على قناة التل وحولها العديد من المساكن المدهونة بهانات بديعة ملونة. وفي مقدمة الميناء نجد الرصيف الصناعي الخاص بالملك وأمامه جزيرة صغيرة تعرف باسم أنتيرودس أقيم عليها قصر وميناء صغير. وعلى هذا الرصيف الملكي أقيم مسرح عرف آنذاك باسم (بوسايدوم). وهو على شكل كوع ناتئ من الإمبريوم، وإلى هذا الكوع من اليابسة قام أنطونيوس بإضافة حاجز للأمواج يمتد داخل الماء وعلى امتداد هذا الحاجز من الطرف الآخر بنى مكنيا ملكيا أسماه تيمونيوم حيث اعتزم أن يقضى بقية أيامه الأخيرة في عزلة. ويأتى وراء هذا كله القيصارية (سيزاريوم)، الامبوريوم، والمخازن، يليها بيوت السفن التي تمتد حتى هيتاستاديوم هذا كله نصادفه عند دخولنا الميناء الكبير.

ويتألف سترابون وصفه للمدينة فيقول: وبعد الهيتاستاديوم أتينا إلى ميناء إينوستوس (إلى الغرب). وبعد ذلك ثمة ميناء صناعي يسمى سيوتوس ومزيد من بيوت السفن يليه ترعة صالحة للملاحة تؤدي إلى بحيرة مريوط؛ وخارج تلك التربة أو القناة نجد على اليسار مرفأ صغيراً للمدينة وعندما أشرقنا على ضاحية نيكروبوليس ذات الحدائق والجداول ومنشآت تحنيط أجسام الموتى داخل القناة. وعلى الأكروبوليس في راقودة (راكوتيس) أقيم معبد السيرايوم العظيم.

لقد غصت المدينة بالمباني العامة والمقدسة، لعل أجملها مباني المعهد العلمي (الجمنازيوم) ذات الأروقة المعمدة التي يزيد الواحد منها في الطول عن مجرد الأستاذ. وفي وسط المدينة نجد محاكم العدل وهنا أيضا نجد البانيوم وهو تل صخري يتم الصعود إليه عن طريق حلزوني ومن قمته تشاهد المدينة كلها. ويمتد الشارع العرضي بالطول من نيكروبوليس ماراً بالجمنازيوم وحتى البوابة الكاثوية وبعدها يأتي المرء إلى

هيودروم خارج أسوار المدينة، وعندما نغير هيودروم نأتى إلى مستعمرات نيكوبوليس حيث هزم أوغسطس البقية الباقية من اتباع انطونيو وإليوسيس على القناة الكانونية، وهو أيضا مكان للهو والعريضة التى لا حياء فيهما للذين يريدون أن يحيوا حياة كانونية.

لقد ضمت مدينة الاسكتندرية أحياء أكثر من جميلة وقصورا ملكية تبلغ مساحتها ربع مساحة المدينة كلها «وكان هناك مبنى فوق مبنى» وكلها مربوطة ببعضها البعض.

لقد كان المتحف جزءا لا يتجزأ من القصور الملكية وكان فيه عمش عام تنتشر على جانبيه المقاعد وكان فيه بيت كبير يجتمع فيه العلماء من كل حذب وصوب يتشاطرون العلوم.

وكان ضريح المعظماء هو الآخر جزءا هاما من القصور الملكية. وكان المكان مخصصا كمدافن للملوك وللأسكتندر الأكبر.

لقد تبلورت مميزات هذه المدينة فى أنها:

١ - المكان الوحيد فى مصر ذو الموقع الطيعى المهيأ لتجارة البحر حيث الميناء الرائع ونجارة البر حيث كان النيل يحمل كل شء إليه. إنها أعظم مركز تجارى فى كل العالم المعمار.

٢ - امكانية توصيل مياه الشرب العذبة من النيل إليها بسهولة عن طريق فرع كانوب.

٣ - امكانية وصل جزيرة فاروس بها على نحو ما صادفناه قبلا.

٤ - تعتبر جزيرة فاروس خط دفاع أمامى للمدينة.

٥ - وجود بحيرة مريوط فى الجنوب يشكل خط دفاع جنوبى عن المدينة، وتغسل المدينة بمياهها من الظهر كما يغسل البحر المدينة بمياهه من الوجه.

٦ - احتلال المناخ على مدار العام.

لقد غدت مدينة الاسكتندرية سيدة مدن العالم بلا منازع وسيلة طرق التجارة وقلب

مراكز الفكر والثقافة في العالم المعروف آنذاك.

لقد كان هناك في تلك المدينة أربعة مبان تذكارية فاقت ويزت أى نظير لها عما وصلنا خبره. ونأتى على الصفحات التالية ببعض التفاصيل عن كل منها:

### ضريح العظماء (سوسا)

توفي الاسكتندر الاكبر في بابل في الاوليات الرابع عشر بعد المائة (وفى التقويم الجريجورى يكون التاريخ هو ١٣ من يونية ٣٢٣ ق.م. وكان آنذاك في سن الثانية والثلاثين وثمانية شهور طبقا لما قال به أريان. ومن الناحية العملية البحتة بقى جثمانه مهملاً هناك وانصرف جنرالاته إلى التناحر على اقتسام السلطة واقتسام الامبراطورية التى خلفها وبعد شهر من موته قام المصريون المهرة بتحنيط الجثمان، ثم لف الجثمان بأرقى أنواع الكتان الفاخر ورفقه لف بصفائح رقيقة من الذهب وذلك حفاظاً على الجسم الرائع الجميل للبطل الاغريقى ويقص علينا ديودورس الصقلى كيف أعد الكفن ليناسب حجم الجسم. وهذا الكفن هو الآخر من الذهب وكان فيه فجوات ملئت بالتوابل النادرة للحفاظ عليه وكان للكفن أيضا غطاء آخر من الذهب المطروق لكى يتناسب أيضا مقاييس جسم الاسكتندر. وإن دراسة متأنية للنص الذى أورده هذا المؤرخ تكشف عن أن الاسكتندر كان يحنط طبقا للطريقة المصرية شأنه شأن الفرعون العظيم فى مصر القديمة. وقد صنعت عربة جنازية غير عادية فى فخامتها وصلابتها حتى تتحمل وعورة الطرق الاسيوية وقد زينت هذه العربة بزيينات هلمينية شرقية غاية فى الابهة. وفى مركز هذه العربة الجنازية من أعلاها شيدت غرفة مستطيلة للجثمان مساحتها ١٢ x ١٨ قلماً على هيئة معبد أبونى ذى أعمدة ذهبية وفوق الأعمدة سقفه هو الآخر من الذهب مرصع بقطع من الأحجار الكريمة، وقد أحيطت الأعمدة هى الاخرى بكورنيش من صفائح الذهب ولم تكن ثمة جدران لتلك الحجرة بل مجرد شبكة من الذهب حتى تسمح برؤية الناووس أى التابوت المسجى فيه الجثمان. وكما يقول ديودورس الصقلى كانت الشبكة الذهبية هذه تقوم على الاقريز الذهبى الذى اشرت إليه سابقاً وكانت هذه الشبكة للذهبة تصور:

١ - الاسكندر فى عربته الملكية مع حارسيه المقدونى والفارسى .

٢ - أفيال الحرب تتبع الملك وحاشيته .

٣ - سلاح الخيالة فى هيئةهم الحربية .

٤ - السفن الحربية فى وضع الاستعداد للحرب .

وفى مدخل هذه الحجرة نصبت أسود من ذهب كحراس للجثمان الملكى . وإلى جوار هذه وعلى قاعدة عريضة وضع تاج ذهبى كبير يرتفع حتى السقف وكان هذا التاج على هيئة إكليل الغار للمتصصر ، وكلما تحركت العربى الجنائزية تحت أشعة الشمس خرج من التاج ضوء يشبه الضوء المنبعث من ريوس . لقد كانت العربى الجنائزية مزدوجة المحاور وكانت عجلاتها الأربعة مصنوعة من الحديد على الطراز الفارسى ومطعمة برفائق من الذهب كما كان المحوران يتهيان برؤوس أسود من الذهب الخالص وتخرج من أفواهها سهام ذهبية أيضاً . ويذكر ديودورس لنا أن محورى العجلات كانا مزدوين بأقعة عجبية تحمى غرفة الجثمان ومحتوياتها الثمينة من الاهتزازات العنيفة والصلدمات التى تنتج عن السير فى الطرق الوعرة . وكان يجرى العربى أربعة جياد فى المقدمة اثنان على كل جانب واحد أمام الثانى وخلف كل جواد كانت هناك أربع مجموعات من البغال كل مجموعة منها تتألف من أربعة بغال ومن هنا يكون عدد البغال أربعة وستين بغلاً وكانت الجياد والبغال ذات سروج مزينة بحليات الذهب المبالغ فيها وقد صاحب العربى الجنائزية فريق من المهندسين والميكانيكيين ومعهدى الطرق . ومن المؤكد أنه كان يحمى هذا كله فرقة مختارة من الجنود كانت فى شرف الوداع الأخير لقاتلها الراحل العظيم . لقد استغرق تنفيذ هذا العمل والاستعداد له عامين كاملين واتفقت عليه كما رأينا مبالغ طائلة للغاية ليس فقط بسبب كميات الذهب المستخدمة فيه وإنما أيضاً بسبب الدقة المتناهية فى الإعداد والاستعداد .

وعلى طول الطريق من المدينة التى انطلقت منها الجنازة حتى مدينة الثرى الأخير

خرجت الجموع لتشهد الموكب الفخم الضخم. لقد خرج للحفل الجنائزى من مدينة بابل واشترق بلاد ما بين النهرين وسط المظاهر العسكرية التى تليق بالقائد ثم اخترق سوريا حتى وصل إلى دمشق ثم إلى معبد آمون فى الصحراء الغربية لمصر حتى يبارك الإله ابنه المقدس ثم ينقل الجثمان بعد ذلك إلى مدينة إيجيه المقدونية القديمة حتى يدفن الاسكندر هناك مع بقية الملوك من الأسرة الحاكمة. وهنا يتوقف ديودورس ويقول لنا إن هذه الخطوة الأخيرة من الموكب الجنائزى تم تغييرها فى اللحظات الأخيرة بناء على قرار من بطليموس الذى أدرك الأهمية السياسية الكبرى لدفن القائد المنتصر فى المدينة التى أنشأها فى مصر وأعطاهما اسمه الخالد. ومن هنا قام بطليموس فى كوكبة من جنوده بمقابلة حملة الموكب الجنائزى وتفاوض مع قائدهم حتى يسمح له بتنفيذ الخطوة الأخيرة من مراسيم الدفن. ومن ثم حمل بطليموس الجثمان إلى منف حيث استقر هناك لفترة حتى تم تشييد مقبرة العظماء أو الضريح الأكبر فى قلب حى البروكيوم الحى الملكى فى مدينة الاسكندرية على النحو الذى بسطناه سابقاً بالقرب من الميدان الذى يتعامد فيه الشارعان الرئيسيان وهنا دفن الاسكندر فى مقبرة خاصة داخل حرم الضريح وضرب حولها سور خاص بها وقد أطلق عليها اسم (سوما) لأنها تضم جثمان أشهر رجل عرفه التاريخ. وحول هذا المكان الذى دفن فيه الملوك نشأت أفخم منطقة مقابر عرفها التاريخ. لقد صنعت هذه المقابر من أندر أنواع الرخام اليونانى والمصرى وتوفر عليها أشهر الصنائع الأغريق وأمهر البنائين والمهندسين حتى تليق بالمكان الأبدى لجثمان القائد ذى الروح الخالدة وقد امتزج فى هذه المقابر فن العمارة فى القرن الخامس قبل الميلاد مع فن العمارة فى القرن الرابع قبل الميلاد. لقد أقيمت مراسيم الدفن فى ساحة الضريح ذات الأعمدة الشاهقة الفخمة ثم فى قلعة الشعائر التى تحلج عن الساحة بضعة درجات تلك القاعة التى أطلق عليها قاعة الأحزان، وقد امتزجت فى تلك الشعائر: الشعائر الإغريقية القصيرة اللاتقة بالبطل الإغريق والشعائر المصرية الطويلة المستفيضة اللاتقة بالإله الشرقى. وفى مؤخرة غرفة الأحزان هذه وضع تابوت الاسكندر مغلفاً برفائق الذهب الخالص وفوق قاعة الأحزان هذه أقيم

رواق عظيم أو لنقل معبد من الرخام الأبيض على الطراز اليونانى القديم البالغ الجمال ودقة التناسيب. وفى هذا المعبد وضعت بعض متعلقات الاسكندر وبعض قطع الاثاث الجنائزى النادرة وذات القيمة العالية. وفى هذا المكان كانت تمارس طقوس العبادة العامة المشتركة بين المصريين والإغريق.

والسؤال الذى يطرح نفسه عادة فى هذا السياق هو من بنى الضريح (سوما) وأحضر جثمان الاسكندر ليدفن فى مدينة الاسكندرية المصرية؟ يعتقد الكثيرون أن بطليموس سوتر هو الذى قام بكل ذلك؛ وهذا أمر طبعى حيث مات الاسكندر ودفن فى عهد بطليموس سوتر فى حكم مصر والاسكندرية. وربما تكون هناك توسعات قد حدثت فى الضريح خلال حكم بطليموس الثانى وخلفائه وخاصة بطليموس الرابع فيلوپاتر الذى يقال أنه أعاد ترتيب وضع المقابر داخل الضريح. ولكن طبقا لأقوال بورانياس ظل جثمان الاسكندر الأكبر فى منف لمدة أربعين سنة ولم ينقل إلى مدينة الاسكندرية إلا على يد بطليموس الثانى ابن سوتر؛ ويؤكد على ذلك ما ذهب إليه كثير من الكتاب القدامى واللاحقين حيث يعزون هذا الفضل إلى بطليموس الثانى، وإن كان ذلك لا يتسق مع الجهود الكبيرة والمخاطر التى تجشمها بطليموس سوتر للاستيلاء على الجثمان والعربة الجنائزية من قائد الموكب، ومن ثم لم يكن بطليموس الاول سوتر بالرجل الذى يترك الجثمان فى منف أو فى غيرها بل كان يرغب فى أن يعزى الفضل إليه، وقد أدرك بحسه مدى الفائدة الكبرى التى تعود على الاقليم الذى يحكمه (مصر) من دفن الاسكندر فى المدينة التى أسسها وحملت اسمه واتخذت حاضرة لمصر وأصبحت منارة للعالم، وبالتالي لم يتردد فى القيام بتلك الانجازات.

وفى هذا الصدد يقول الدكتور إدوين ييفان «لقد أكد ديودورس واسترابون وغيره من الثقة الأقدمون أن بطليموس الاول هو الذى قام بنفسه بوضع جثمان الاسكندر فى مقبرته (سوما) فى مدينة الاسكندرية وكانت هناك حتى العصر الرومانى. وربما كانت تلك هى الحقيقة ولكن السبب وراء عبارة بورانياس أن الجثمان بقى فى عفيس عدة

سنوات حتى تعد العدة فى الاسكندرية لاستقباله ودفنه هناك.

وبعد ذلك انتشرت حول ضريح الاسكندر مقابر ملوك الاسرة البطلمية وبدأت بمقبرة بطليموس سوتر أخلص خلصاء الاسكندر ومؤسس الاسرة اليونانية - المصرية التى انتهت بموت كليوباترا بطريقة درامية؛ وقد قيل أن كليوباترا وانطونيوس قد دفنا بدورهما بالقرب من ضريح الاسكندر (سوما).

وقد ظل هذا الضريح (سوما) لعدة قرون مزارا يحجج إليه العظماء والسفلة من الحكام والعامه على السواء على مدار الايام. لقد حجج إلى هذا المقام قيصر وحفيده ذائع الصيت أوغسطس الذى يقال أنه أثناء تحنسه لجثمان الاسكندر المحنط كسر جزءا من أنفه الملكى. وإلى هذا المقام حجج الامبراطور سيفيروس الذى وضع فى مكتبة الضريح مجموعة من الكتب الدينية المقدسة المصرية وأغلق المكان فى وجه العامة ولم يسمح بعد ذلك بزيارتهم للمكان. فى نفس هذا المكان جاء ابن سيفيروس كاراكالا سيء الخلق، وبعد أن أودع فيه مجوهراته الخاصة وملابسه الامبراطورية أمر بذبح شباب المدينة الذين كانوا يسخرون من شخصيته البشعة. ولقد تواتر على هذا المكان فسباسيان، دوميتيان، هادريان، أورليان وغيرهم من أباطرة روما، ويقال أن المسلمين عندما جاءوا إلى الاسكندرية بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٢م كان الضريح مايزال فى أبهى حله وهيبته الأصلية التى كان عليها. ولقد قال ليو أفريكانوس - الذى تنصر وعمده أبوه الروحى البابا ليو العاشر - فى كتابه (وصف أفريقيا) الذى نقله إلى الانجليزية جون بورى ما نصه؛ وكان هذا النص فى نهاية القرن الخامس عشر:

«إن عما لا يمكن إغفاله بين أطلال مدينة الاسكندرية الاثرية منزل صغير على شكل معبد تحته مقبره تحوى على رفات نبى وملك (هكذا يسمونه) يجله المسلمون ورد ذكره فى القرآن ألا وهو الاسكندر الأكبر».

وإذا كان هذا الكلام قد ذكر فى نهاية القرن الخامس عشر فإن الامر لا يعدو أن يكون مجرد أسطورة يتم تناقلها من جيل إلى جيل أو ربما فعلا بقايا حطام ضريح



الاسكندر الذى كان يزين المدينة لفترة طويلة، تلك المدينة التى بهتت وانهارت وتعاورتها ضروس السنين وطحتها الأيام فقدت أثرا بعد عين وغلفتها العزلة.

وهناك دارسون وباحثون آخرون يؤكدون استمرار ضريح الاسكندر فترة طويلة بعد دخول العرب المسلمين إلى الاسكندرية من بينهم إدوارد دانيل كلارك الذى وضع كتابا قيما مثل كتاب ليو أفريكانوس بعنوان (مقبرة الاسكندر) وهذا الباحث جاء قبل شامبلون الفرنسى بفترة وهو المجهلى الجنسية وباحث فى الكلاسيكيات وقد أثبت فى هذا الكتاب أن مقبرة الاسكندر وتابوته كانا على غرار مقابر وتوابيت الفراعنة المصريين وأنها استمرت فى الوجود بنفس الفخامة والأبهة لعدة قرون بعد دخول المسلمين وربما بقيت كذلك حتى القرن الخامس عشر.

يقول إدوارد ألكسندر بارسونز أنه من المحتمل أنه البقايا الامبراطورية وضريح الاسكندر قد استمرت فى أبعثها الأصلية وفخامتها على امتداد سبعة قرون بعد إنشائها ويستشهد على ذلك بقول القديس جون كرايوسستوم بعد تدمير معبد سيرابيس والآثار الوثنية (٣٩١م) بشامية أعوام الذى نطق به بعد الانتصار الكاسح للمسيحية بأعلى صوت «أين الآن قبر الاسكندر؟ أرونى إياه». وهكذا اختفت مقبرة البطل الاغريقى الاسكندر الأكبر التى قامت فى قلب الحاضرة المصرية والتى كانت مثار إعجاب العالم ومحط أنظارهم حتى لقد قيل: مات الاسكندر؛ دفن الاسكندر؛ تحول الاسكندر إلى تراب.

## المتحف

لم يكن المتحف كما يبدو من اسمه مجرد مكان لتجميع التحف بل كان فى حقيقة أمره أكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمى. وقد قامت هذه الأكاديمية هى الأخرى فى قلب الحى الملكى، الحى اليونانى، حى البروكيوم. وكان يتألف من مجموعة من البنايات الفخمة الضخمة المشيدة من الرخام الأبيض والحجارة البيضاء وكانت هذه البنايات عبارة عن صالات لاقامة التماثيل، ومعارض للوحات، وقاعات محاضرات ومساكن لاقامة العلماء والباحثين المغتربين والذين كان يقدر عددهم بأكثر من مائة

عالم وباحث فى الوقت الواحد، كلهم كانوا يقيمون تحت كفالة ورعاية تلك المؤسسة الملكية: المتحف. هنا كان الباحثون وبالمجان والاقامة الكاملة، يدرسون ويبحثون ويكتبون فى كل مجالات المعرفة البشرية: فى التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والتطبيقية واللغة والأدب. وفوق كل هذا وذلك كانوا يقومون بتحقيق النصوص، ويقومون بنسخها وتعليق نسخها ويبيعونها لمن يريد أن يكون مكتبة شخصية. لقد كان كبير أمناء المتحف أو مدير الأكاديمية شخصا عالمًا ببل وأهم مفكر فى عصره.

يقول بارسونز فى هذا الصدد أن المتحف كان يعتبر أكبر جامعة فى العالم الهللىنى. ولم يكتب المتحف بأن يقدم للعلماء والباحثين أماكن للنوم والاقامة وصالات الطعام وأماكن للراحة والمشى والتفانى والتأمل، وقاعات للمحاضرات فى الفلسفة والعلوم وقراءة أعمال الشعراء والمؤرخين الكلاسيكيين؛ ولم يكن كذلك مجرد مكان لحداائق النباتات والحيوانات اللازمة للبحث والدرس، ولكنه كان قبل ذلك وفوق ذلك المكان الذى لا نظير له فى جمع وتنظيم أكبر مجموعة من مصادر المعلومات فى العالم القديم ونعنى بذلك مكتبة الاسكندرية مما سنراه تفصيلاً فى هذا البحث.

يقول فيرديناند جريجوريوس فى كتابه عن الامبراطور هادريان «لقد نشرت مدرسة الاسكندرية العلم والمعرفة فى العالم المتحضر بأوسع وأطول مما قامت به أية جامعة لاحقة عليها سواء تلك التى وجدت فى باريس أو بولونيا أو بادوا لقد استمر هذا العطاء العلمى فترة أطول كثيراً بعد توقف قوة العلم الاغريقى والمعرفة الموسوعية للاغريق. لقد تجمع هنا كله وأتى أكله فى مكتبة ومتحف الاسكندرية».

### السيرابيوم

يعتبر معبد السيرابيوم الذى أقيم على ريوه عالية فى الحى المصرى القديم (راقودة)، والذى بنى أساساً من الرخام المصرى ومواد أخرى نادرة، يعتبر أهم المبانى الأثرية فى الاسكندرية القديمة على الإطلاق. وقد سيطر على الحاضرة كلها بكل أحيائها. وفى هذا المعبد كما الملح من قبل كان يمكن للمصريين واليونانيين على السواء أن يتعبدوا فى الصلوات الجماعية معاً ويؤدوا شعائر مشتركة بينهم وتحت قيادة كاهن واحد

مشترك، سواء كان الكاهن تابعا للإله زيوس اليونانى أو الإله أوزيريس المصرى القديم.

هذا السيرايوم أو معبد سيراميس كان من الجمال والجلال بحيث قال عنه إميانوس مارسيلينوس:

«لا يمكن لوصف أن يوفيه حقه. إنه تزيّن زخافات ذات أعمدة بهية وثمانيل تكاد تتنفس وقطع فنية أخرى كثيرة. وهو يلى فى روعته مبنى الكابيتول فى روما الذى تطلع به إلى المخلود ولا يوجد فى الدنيا كلها ما هو أفخم منه».

ومن المعروف أن المكتبة الصغرى أو المكتبة الإبتة للاسكندرية كانت قد وضعت فى هذا المعبد، على النحو الذى سوف نراه تفصيلا فيما بعد.

لقد كانت الاسكندرية مدينة الجن والملائكة، مدينة العلم والملاهى ويصلق عليها وصف هيرودس حيث قال:

«مصر - الاسكندرية - !! هناك تمجد معبد الإلهة آرسينوى. هناك تمجد كل شيء من أى مكان: الثراء الفاحش؛ دور العلم؛ القوة؛ الراحة والاسترخاء؛ المجد؛ العروض الفنية؛ الفلاسفة؛ الذهب؛ الشباب؛ الآلهة والالهات الاخوة والاحوات؛ الملك؛ الرجل المتحرر؛ التحف؛ النبيذ؛ كل الاشياء الجميلة الطيبة التى يتمناها القلب، والنساء أيضا هناك أكثر عددا من النجوم، وهن فى جمال الالهات اللاتى ذهبن إلى باريس للتقاضى!!».

وبينما كانت شمس أينا تقرب وأيام خريفها تقترب وكانت الثقافة اليونانية أدخلت فى التجمد وكتابها الذهبى بدأ يفلت، ظهر هناك شاب حمل المشعل المتهاوى وحمله عبر القارات الثلاث، وفى قلب العالم القديم بنى أثرابقى لمدة ثلاثة قرون حاملا مجد الفكر الهللىنى فى التجارة والفن والعلم. وعندما ماتت بلاد اليونان وقام على أنقاضها الرومان بعثت روح الاسكندر فى المنطقة أربعة قرون أخرى.

لقد بقيت الاسكندرية رمزا لعظمة باتيها؛ واستغرقت ألف سنة من الثورات

التلافة وحملات التخريب حتى خفت صوتهها ونحقت فيها روحها الكلاسيكية، وسقطت فى ظلام العصور الوسطى.

## المكتبة

كانت المكتبة هى أحد ملحقات المتحف الاساسية وكانت ترتبط بمبانى المتحف عن طريق بهو من اعمدة الرخام الابيض. وكان مبنى المكتبة نفسه هو الآخر من الحجر الابيض والرخام الابيض ومن ثم كان منسجماً مع سائر مبانى المتحف وجزءاً متكاملًا معها بحيث يقدم العلم والحكمة حسب مشورة ونصيحة ديمتريوس الفاليري الى بطليموس الاول. وهنا فى هذا المكان كانت المكتبة الام مكتبة المتحف كما كانت تسمى والتي اعتبرت إحدى عجائب العالم القديم. لقد ضمت المكتبة كما سنرى تفصيلاً فيما بعد عشر صالات واسعات، كانت جدرانها مقسمة الى خزانات مرقمة ومعنونة وفى كل خزانة كانت ترتب الكتب التى تحوى الحكمة والعلم والمعرفة التى تراكمت عبر قرون البشرية العالة. ولقد خصصت كل صالة من الصالات العشر لآحد فروع المعرفة البشرية حسب التصنيف العشرى الهللىنى للمعرفة على نحو ما جاء فى فهرس كاليماخوس المسمى بيناكس. وكان من المألوف أن يرتاد هذه الصالات العلماء والباحثون للقراءة والبحث والاطلاع، على الرغم من أنه كانت هناك قاعات أصغر منفصلة للبحث الفردى أو للمجموعات الصغيرة التى تقوم بأبحاث خاصة ودراسات مشتركة.

لقد أنشئت المكتبة مع نهاية عصر الكتاب اليونانيين العظام (أرسطو، ديموثيز: توفيا سنة ٣٢٢ ق.م)، وحيث قدمت أثينا كل أدوات ومقومات قيام تلك المكتبة: القوة والابتكار والعلم والانتاج الفكرى اللازمة للقيام والاستمرار والحماية. لقد كان قيام المكتبة أهم إنجاز فى الحياة الفكرية للبشر فى حينه.

## الحضارة الهللىنية

يقصد بالحضارة الهللىنية تلك الحضارة التى ازدهرت فى القرون الثلاثة السابقة على ميلاد المسيح مباشرة أى التى أعقبت موت الاسكندر الأكبر. وهى فى أصلها وجوهرها

حضارة يونانية امتزجت بحضارات المناطق التي فتحها الاسكندر وكون منها امبراطوريته . ولابد وأن تقرر بداية أنها كانت حضارة اللغة اليونانية لأن تلك اللغة أصبحت لغة الدواوين الحكومية في عموم الامبراطورية وكانت لغة التخاطب بين التجار ولغة المعاملات التجارية حيث انتشر التجار اليونانيون في عموم الامبراطورية وأكثر من هذا انتشرت الجاليات اليونانية في مشارق الدولة ومغاربها وافتتحو المدارس فانتشرت معهم لغتهم وخاصة لغة أهل أثينا .

لقد كانت اللغة اليونانية أيضا هي لغة التأليف والنشر ليس فقط من جانب المفكرين والعلماء الاغريق ولكن أيضا من جانب العلماء والمفكرين في الدول المفتوحة الذين وجدوا أنه من الضروري لانتشارهم وذيع صيتهم أن يكتبوا وينشروا باللغة الرسمية لغة السيادة، وعليه فلم يكن الفكر الذي أبدع في الحقبة الهلينية كله فكراً يونانياً إغريقياً خالصاً، بل ولم يكن هذا الفكر يمثل إلا جزءاً صغيراً مما نشر في تلك القرون .

من جهة أخرى فلا بد وأن نتوقف أمام حركة الترجمة والنقل التي قام بها الاسكندر الأكبر وخلفاؤه من لغات الدول المفتوحة إلى اللغة اليونانية فنقل كثيراً من أعمال الفرس وأعمال البابليين والآشوريين والمصريين وغيرهم إلى اللغة اليونانية وكانت حركة نقل وترجمة واسعة النطاق أثرت في وأثرت مقتنيات مكتبة الاسكندرية إلى حد كبير . إن المرء في تلك الفترة كى يبدو متحضراً ومثقفاً كان عليه أن يجيد اللغة اليونانية قراءة وكتابة ويستعملها في حياته اليومية كما نفعل نحن اليوم بالنسبة للغات السيادة: الانجليزية والفرنسية . ولم يقتصر انتشار اللغة اليونانية على المدن فقط بل تسللت إلى القرى وإن كان أهل القرى يتكلمون اليونانية المكسرة غير اليونانية الفصحى السليمة التي يتحدثها أهل المدن . وما يكشف عن أهمية وخطورة تعلم اللغة اليونانية في تلك الحقبة قيام اليهود أنفسهم بترجمة العهد القديم من العبرية والآرامية إلى اللغة اليونانية في الاسكندرية فيما عرف بالترجمة السبعينية .

ولعله من نافلة القول أن نذكر في هذا السياق أن اليونانيين قد اشتقوا لهم أبجدية

من الأبجدية الفيتيقية، وأن هذه الأبجدية هي التي كتب بها الفكر في الحقبة الهلينية. وكانت مادة الكتابة الأساسية في تلك الحقبة هي ورق البردي المصري الذي كان سيد مواد الكتابة ربما حتى القرن الرابع الميلادي، وإن لم يعد الأمر وجود مواد أخرى كالرق والأواح الخشب والأواح الطين. ومن هذا المنطلق فقد كان الجانب الأعظم من الانتاج الفكرى آنذاك مكتوبا على البردي، وكانت مقتنيات مكتبة الاسكندرية هي أساسا من هذه المادة.

لقد عاش سكان المدن الهلينية في بلهنية من العيش وبحبوحة من النعيم ورفاهية وترف مقيم. وكان الاثرياء منهم يبنون منازلهم بالحجر الأبيض بدلاً من الطوب ويحيطونها بأروقة ذات أعمدة من الجوانب الأربعة. وكانوا يستخدمون الفسيفساء والرخام بغزارة في أرضيات المنازل وجدرانها. وفي معظم الحالات كانت البيوت تؤثت بأفخر الأثاث وآتفه. وفي عصور الرفاهية المطلقة كان الماء يدخل إلى المنازل عبر أنابيب خاصة تمتد تحت بلاط الشوارع، كما عرفت البيوت أيضا أنابيب الصرف الصحي.

وانتشر في العصر الهليني إنشاء المدن الجديدة بكثرة واضحة وكانت تلك المدن الجديدة منظمة تنظيما جيدا بحيث تكون الشوارع قائمة الزوايا وتقسّم المدينة إلى أحياء كل حي يتألف من مجموعة مربعات أو مستطيلات يضم المستطيل والمربع الواحد عددا من المنازل. وكانت الشوارع مبلطة تحمى أنابيب المياه والمجارى. وكانت الشوارع تضأ ليلا بالمصابيح. وكان في كل مدينة مبانى عامة وحكومية، وأسواق وحدائق وملاعب وحمامات وميادين للسباق ومسارح للتمثيل ومعابد لعبادة الآلهة. ولم يكن ذلك الأمر قاصرا على المدن الكبيرة فقط بل امتد إلى المدن الصغيرة التي لم يكن سكانها ليزيدوا عن بضعة آلاف نسمة ومن الطريف أنه كان في كل مدينة صالة اجتماعات فسيحة تسمى قاعة للمجتمع تعقد فيها الاجتماعات العامة وكان اليونانيون يطلقون عليها «باروليكا» وكان مكثها غالبا على جانب من السور العامة. وقد اسلفت كيف تأثقت الهلنيسون الهلينيون في تخطيط وتنظيم مدينة الاسكندرية. ومن المدن

الجميلة أيضا في العصر الهليني مدينة بروجاموم التي أسست هي الأخرى مكتبة كبيرة أرادت أن تنافس بها مدينة الاسكندرية. وقد ازدهر في تلك المدينة فن نحت التماثيل وأعمال الصخور والرخام.

لقد ازدهرت في العصر الهليني فنون التصوير إلى جانب فن النحت. ولم يكف فنانو ذلك العصر برسم الصور والمناظر على مواد التصوير بل رسموها أيضا على الجدران وأرضيات القسفساء. ومن الطريف أن الشخصيات الكبيرة كان لها رساموها المخصوصيون فهذا هو الاسكندر الأكبر كان له مصور رسام اسمه أبلاص رسمه ذات مرة وهو مغطيا جواده وقد أحكم الرسام تلوين الجواد إحكاما منهشًا حتى ظهر الجواد وكأنه حي يركض، ويقال أن حصانا مر بتلك الصورة وتوقف أمامها وركض إليها وحمم. ولقد انتشرت أعمال تصوير المناظر الطبيعية والأشخاص انتشارا كبيرا وإن لم يصلنا منها شيء كثير. ولقد وصلت المنحوتات بكثرة سواء على الحجر أو المعدن أو النياشين وقطع النقود.

ولم تنتشر في العصر الهليني العلوم الطبيعية النظرية وحدها بل طبق العلم على العمل وانتشرت العلوم التطبيقية على نطاق واسع كما سنرى فيما بعد. لقد ارتفع شأن علم الرياضيات وبرز إقليدس من بين رجال أكاديمية الاسكندرية (المتحف) وكان أعظم علماء الرياضيات طرا ومازال اسمه يتردد حتى يومنا هذا وما تزال كتبه في الهندسة يدرس حتى الآن. وظهر في ذلك العصر أيضا أرشميدس ووضع نظريات جديدة في الرياضيات وطبق العلم على العمل على نحو ما ستعالجه فيما بعد. وبلغ من صعوبة النظريات التي وضعها أنها لم تنتشر في ذلك الزمان إلى أن أعيد أحيائها الآن. ولقد ازدهر علم الفلك أيضا ازدهارا عظيما وعنى به البطلمة أيما عناية ونحن نعلم أنه الحق بالمتحف في الاسكندرية مرصد فلكي استخدم في القيام باكتشافات فلكية عظيمة توفر عليها فلكي من سامورا اسمه أرسترخس وهو الذي قال بأن الشمس ثابتة والأرض وغيرها من الكواكب حولها تدور على العكس مما كان سائلا آنذاك. كما وضع أحد الفلكيين في ذلك العصر جدولاً فلكيا يضم أسماء ولوصاف نحو تسعمائة

نجم من النجوم الثابتة. وفي ذلك الوقت تم قياس محيط الأرض وجاء قريباً جداً من القياس الحقيقي لها الآن.

ازدهر علم النبات وعلم الحيوان وقاد أرسطو وتلاميذه التفكير والتأليف في هذين العلمين، وقد اكتشفوا بدون آلات أو ميكروسكوبات الكثير من الحقائق العلمية والنظريات الجديدة وأسقطوا معلومات ونظريات قديمة. وكان لديهم في متحف الاسكندرية معمل للتشريح: تشريح الحيوانات والبشر وكان البطالمة يقدمون لهذا المعمل عدد كبيراً من المحكوم عليهم بالاعدام لاجراء التجارب العلمية عليهم وهم أحياء. وكان من جراء تلك التجارب اكتشاف الجهاز العصبي ودوره في توصيل رسائل اللثة والالم إلى المخ من سائر اجزاء الجسم واكتشفوا أن المخ هو مركز ذلك الجهاز العصبي. ونحن نعلم أن الاسكندرية كانت في تلك الحقبة أهم مركز للدراسات والبحوث الطبية في العالم القديم يقصده طلاب الطب من جميع أنحاء ذلك العالم.

وعندما تذكر اليونان والعالم الهليني فلا بد وأن تذكر الفلسفة والأخلاق والمنطق حيث هي علوم يونانية هلمينية صرفة. ولقد انتشرت الترية والتعليم في بادئ الأمر على شكل مدارس خاصة في أول الأمر ولكنها أصبحت حكومية تتولى الدولة أمرها وتتحمل تكاليفها. وكان الطالب الذي يجتاز المرحلة الابتدائية يواصل تعليمه العالي في اللغة والفلسفة والرياضيات. ورغم أن الفلسفة كانت تتضمن دراسة كل فروع المعرفة البشرية تقريباً إلا أنه كان هناك نوع من التخصص في الدراسة على حسب المهنة التي يرغب الشخص في امتيازها بعد الانتهاء من الدرس، وعلى سبيل المثال: الطب والهندسة والفلك والكيمياء.. ويمكننا القول مطمئتين بأنه كانت هناك في ذلك العصر مدرستان أو جامعتان كبيرتان لتدريس العلوم وتدارسها. أولى تلك المدارس مدرسة الاسكندرية التي تجمع منها رهنط عظيم من العلماء يدرسون في موضوعات مختلفة كالفلك والطب والرياضيات وعلم النبات وعلم الحيوان وعلوم اللغة والآداب والجغرافيا وغيرها. وكانت مدرسة الاسكندرية تميل إلى التجريب والتطبيق



أكثر من ميلهم نحو التجريد والفلسفة ولذلك لم تحفل الاسكندرية كثيرا بالعلوم الفلسفية النظرية على نحو ما حفلت به أثينا كما سنرى بعد قليل والمدرسة الثانية أو الجامعة الثانية فى الحقبة الهلنستية كانت مدرسة أثينا وكانت هذه المدرسة تمنح نحو العلوم الفلسفية أكثر، وكان طلاب الفلسفة يأتون إلى أثينا من كل حذب وصوب وكان على رأس هذه المدرسة أتباع أفلاطون وطلابه (٤٢٨ - ٣٤٧ ق.م) يدرسون كتب أفلاطون ونظرياته فى المكان الذى اختاره وهو الأكاديمية. وكان أرسطو تلميذ أفلاطون ومعلم الاسكندر قد عاد من مقدونيا إلى أثينا بعد أن أتم تعليم الاسكندر. وقد انشأ أرسطو مدرسة خاصة به لاختلافه علمياً مع أستاذه أفلاطون. وقد عرفت مدرسة أرسطو باسم الليسيوم نسبة إلى المكان والمشائين نسبة إلى طريقة التدريس أثناء المشى أو بمعنى آخر المشى أثناء التدريس. وقد جمعت أعمال أرسطو فى موسوعة ضخمة اعتبرت المرجع الأساسى فى العلوم طوال العصور الوسطى واعتبر أرسطو أعظم مفكر فى العالم القديم والوسيط على الإطلاق ولما مات أرسطو تفككت مدرسته.

ومن الطبيعى أن تأخذ فلسفة أفلاطون وقتها ثم يتحول عنها الناس، وكذلك الحال بالنسبة لفلسفة أرسطو، وكان من الطبيعى أن تنشأ مدارس فلسفية أخرى من أثينا؛ مدارس تواكب العصر الجديد وتحاول أن تقدم للناس فلسفة تساعد على الحياة العملية وطيب العيش بدلاً من الفلسفة التى تطلب منهم المجاهدة والمجالة لتحقيق الكمال. ومن هذه الحال والأوضاع خرجت مدرستان جديدتان للفلسفة هما: مدرسة الفلسفة الرواقية ومدرسة الفلسفة الأبيقورية. ومؤسس الفلسفة الرواقية هو زينون القبرصى المولد الشرقى السامى الأصل وسميت فلسفته بالرواقية لأنه كان يعلم تلاميذه فى الرواق القديم فى المدينة فنسبت المدرسة والفلسفة إلى المكان الذى تلقى فيه المحاضرات. وملخص هذه الفلسفة الجديدة أن الحياة تقوم على شيئين فقط أحدهما صالح وهو الفضيلة والاخر فاسد وهو الرذيلة وأنه لكى تعيش النفس فى سلام وطمأنينة فلا بد أن نحيا حياة الفضيلة وفى هذه الحالة سوف يستوى لديها اللذة والألم فإذا حدث ما ينقص الحياة لم تشعر النفس الفاضلة بذلك التفتيش. وقد انتشرت هذه

الفلسفة بين الناس انتشارا كبيرا لانها تحقق لهم السلام الداخلى والطمأنينة. أما المدرسة الثانية وهى الابيقورية فإنها تنسب إلى أبيقورس الذى كان يحاضر طلابه فى حديقته بأثينا. وتقوم الفلسفة الابيقورية على أن الخير الاعظم للانسان هو اللذة سواء كانت لذة فكرية معنوية أو لذة حسية مادية بشرط أن تكون هذه اللذة «حلالا» أى تدخل فى دائرة الفضائل ولا تقترب من دائرة الرذائل. ومن هذا المنطلق انغمس الابيقوريون فى تحقيق الملذات وخاصة الأكل ولذلك وجدت هذه الفلسفة رواجاً عظيماً لدى الناس فأقبلوا عليها إقبالا شديداً، بيد أنهم مع مرور الوقت انحرفوا عن مبادئ الفضيحة وانخرطوا فى لذات الرذيلة غير المشروعة حتى غدا شعار هذه الفلسفة «لناكل ونشرب ونمرح لأننا غدا سوف نموت».

لقد كان من بين حسنات الفلسفة الرواقية والايبيقورية أن اتخذها المثقفون والمتحضرين ديناً لهم أحلوه محل الآلهة المتعددة، وبالتالي انصرفوا عنها وفقدت تلك الآلهة مكانها لها من منزلة فى نفوس الناس بل وأكثر من هذا وأصبحت الآلهة فى نظر هؤلاء الناس مجرد كائنات بشرية يجعلونها فقط. وكتب أميريوس الذى عاش بعد عصر الاسكندر قصة خيالية تؤكد على أن هلم الآلهة التى اخترعها اليونانيون كانت فى الأصل ملوكاً من ذوى الحول والطول والدماء بللوا جهداً كبيراً فم استعباد الناس. وهذه القصة حقيقية مائة فى المائة ولنا فى ~~الطوك~~ ~~والأباطرة اليونانيين~~ أنفسهم الدليل على ذلك حتى الاسكندر نفسه سعى هذا السعى.

لقد جاد العصر الهللى علينا بأربعة مدارس فكرية: الاكاديمية (امتداد أفلاطون فى الزمان والمكان والفلسفة)؛ الليسيوم (مدرسة أرسطو التى كانت أعظم المدارس أثناء حياته وإن خفت بعد وفاته). الرواق (رواق زينون الذى كان يدرس فيه فلسفته)؛ حديقة أبيقورس (المكان الذى كان يلقي فيه أبيقور محاضراته على تلاميذه). وفى ظل هذا كله قامت مدرسة الاسكندرية على النحو الذى سنراه تفصيلاً.

لقد ازدهر علم الجغرافيا فى العصر الهللى إلى حد كبير بفضل تقدم علم الفلك من جهة وتقدم الرحلات والأسفار من جهة ثانية فقد ساعد علم الفلك على معرفة

حجم الأرض وحركات الشمس صيفا وشتاءً. وساعدت الأسفار والرحلات على معرفة مساحات المناطق المسكونة وقياس علو الجبال. ويذكر أن التجار اليونانيين خاضوا عباب البحار والمحيطات بسفنهم التجارية وداروا حول إفريقيا وارتادوا جزيرة سيلان (سريلانكا الآن) والساحل الشرقي للهند. كما قام الفينيقيون بعبور بوغاز جبل طارق. ويذكر أن الجغرافى والفلكى يثياس جهز سفينة على حسابه الشخصى واخترق بها جبل طارق ودار حول الجزر البريطانية وعبر إلى بحر الشمال وجزيرة ثول (ايسلندا الآن).

ويرد فى العصر الهللى الجغرافى الأشهر إراتوستينز الذى وضع كتابا ضخماً فى الجغرافيا رسم فيه خريطة للعالم القديم المعروف له بقاراته الثلاث: أوروبا - آسيا - إفريقيا. ورسم على هذه الخريطة خطوط الطول والعرض ووصف حوض البحر الأبيض المتوسط وصفاً دقيقاً وجمع فى هذا الكتاب مادة علمية غزيرة لم يسبقه إليها غيره.

لم يكتب علماء العصر الهللى بالنظر والبصر فقط بل انطلقوا من ذلك كله إلى التجريب والتطبيق واستخدام العلم فى العمل، فجاد العصر باختراعات عديدة، بعضها كان عاماً من النوع الذى يحدث الانقلاب فى مجال العلم والعمل، وبعضها محدود طريف. من بين الاختراعات العامة آلات إطفاء الحرائق، الآلات الحربية التى تقلب اللهب بضغط الهواء فقط، المسارح المتحركة تلقائياً، الساعات الشمسية والمائية، عصارات زيت الزيتون. ومن الاختراعات المحدودة مغاسل أوتوماتيكية تقدم الماء والصابون بقدر اللزوم، طرق فتح وغلق الأبواب أوتوماتيكياً، صنابير الماء.

وتذكر المصادر أن أعظم رحلات العلوم التطبيقية فى ذلك العصر هو أرشميدس الشهير من سيراكوسة، وهو صاحب آلات رفع الأثقال التى تقوم على مجموعة من البكرات تساعد على تعظيم قوة الدفع والرفع إلى درجة خيالية حتى أنه يمكن دفع سفينة ضخمة مملوءة بالبضائع فى البحر بحركة بسيطة من تلك البكرات. ولقد اخترع الرجل أيضاً آلات حربية جبارة لم تعرف قبل زمانه وغير ذلك من الاختراعات العملية

التي دفعت الحضارة الهلنستية قدما إلى الامام. لقد فاخر الرجل إلى حد الشطط باختراعاته هذه حتى قال «أعطوني مكانا أقف فيه أرزح لكم الارض». لقد كان أرشميلس مدرسة في حد ذاتها وكانت هناك مراسلات وصلات علمية مع زملائه في مدرسة الاسكندرية، وقد ألفوا فيما بينهم جمعية علمية داخل متحف الاسكندرية ودفعوا البحث العلمى واكتشاف القوانين العلمية خطوات كثيرة إلى الامام.

ولعله من نافلة القول أن هذه الحركة العلمية الثقافية الفكرية الحضارية فى العصر الهليني واكبها وساعد عليها ازدهار حركة التأليف والترجمة والنشر واتشاء المكتبات. لقد جاءت روافد حركة النشر من مصادر ثلاثة هي:

١ - تحقيق التراث القديم وتدوينه، ذلك أن الشعب اليونانى كان فى بادىء الامر ينجح نحو النقل الشفوى للمعلومات وظل ردحا طويلا من الزمن على ذلك الحال ومن ثم فإنه فى العصر الهليني وجد تراث ضخم انتقل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان عن طريق التواتر وبالتالي كان لابد من تسجيله وتدوينه ونشره بين الناس، وما وصل إلى هذا العصر مكتوبا كان لابد من الوقوف امامه وتحقيقه وإمعان النظر فيه.

٢ - الترجمة، فكما ألمحت من قبل حرص الاسكندر الاكبر على نقل تراث الشعوب المفتوحة إلى اللغة اليونانية وكانت حركة الترجمة قد اشتدت بعد وفاته وعظمت إلى حد كبير سواء من الفارسية أو المصرية القديمة أو البابلية أو الآشورية أو الآرامية والعبرية ولو نظرنا إلى رصيد الفكر البابلي والآشورى والمصرى القديم لوجدناه من الضخامة بحيث يمد حركة الترجمة إلى اليونانية أوداها طويلا من الزمن.

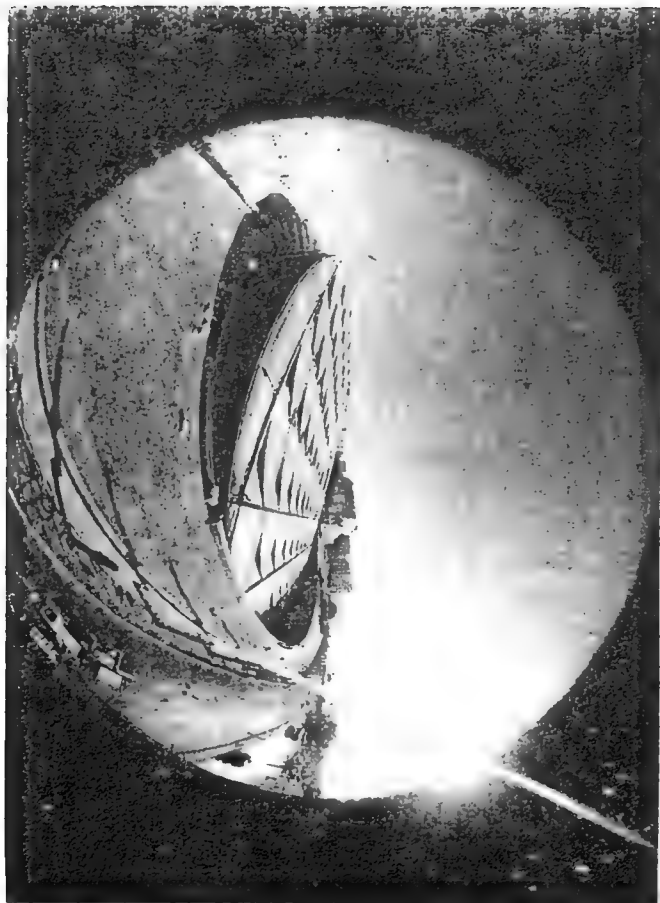
٣ - التأليف الجديد إن المتأمل فى الثقافة الهلنستية سوف يجدها إلى حد كبير نتاج ثقافات وفكر العديد من الشعوب المفتوحة يضاف إليها الثقافة اليونانية الأصلية المتأثرة بداية بالثقافة المصرية والآشورية وكما أشرت من قبل قام المؤلفون فى

عموم الامبراطورية الجديدة بوضع المؤلفات فى كل المجالات والموضوعات باللغة اليونانية التى أصبحت لغة العلم والأدب.

هذه الروافد الثلاثة أمدت حركة نشر الكتب فى الحقبة الهلينية بوقود لا ينفد يدلنا على ذلك العدد الكبير من المجلدات التى تجمعت لدى مكتبة الاسكندرية على النحو الذى سنراه تفصيلا فيما بعد، والمكتبات الأخرى التى انتشرت فى العصر الهليني.

لقد انتشرت المكتبات الخاصة فى تلك الحقبة انتشاراً كبيراً بسبب انتشار التعليم من جهة وانتشار البحث العلمى من جهة ثانية. يضاف إلى ذلك المكتبات الرسمية التى بدأت منذ زمن الاسكندر واستمر مدها بعد وفاته وعظمت حركتها فى الحقبة الهلينية. ويذكر أن أول مكتبة أسستها حكومة يونانية كانت مكتبة «هرقلية» على ساحل البحر الأسود نحو سنة ٣٥٠ ق.م وتوالى المكتبات الرسمية بعد ذلك فى أماكن مختلفة وكانت الحكومة هى التى تشرف عليها وتقوم بنفقتها. وكانت مكتبة الاسكندرية ترويجاً رائعاً لحركة إنشاء المكتبات فى الحقبة الهلينية.

يقول الدكتور مصطفى العبادى أنه بعد وفاة الاسكندر وانقسام الامبراطورية بين قادته إلى ممالك مستقلة، نشأت بينهم منافسة شديدة حيث أراد كل منهم أن تكون مملكته هى الأقوى والأعظم والأكثر تحضراً فى مضمار العلم والثقافة ومن أهم من برز فى هذا الشأن البطالمة فى مصر والسلوقيون فى سوريا والأتاليون فى بروجاموم، حيث حاول هؤلاء جميعاً إحراز قصب السبق فى العلم والثقافة وإنشاء المكتبات على الأقل فى عواصم ممالكهم وهى على التوالى الاسكندرية وأنطاكية وبرجاموم. ومع التطور وبالتدريج وجدنا المكتبات العامة تتخذ شكل الظاهرة فى معظم المدن الهلينية كبيرها وصغيرها حتى إن مؤرخاً مثل بوليبيوس فى القرن الثانى قبل الميلاد يعتبر وجودها أمراً مفروضاً منه على النحو الذى نستشفه من عبارته الساخرة فإنه من اليسير على أى شخص أن يكتب بالنقل من الكتب إذا ما أقام فى مدينة مزودة بوفرة من الوثائق ومكتبة.



---

## الفصل الثانى

### تأسيس وقيام مكتبة الاسكندرية القديمة

---

كانت مكتبة الاسكندرية القديمة لغزًا فى قيامها وتأسيسها ولغزًا فى نهايتها ومصيرها. نحن لا نعرف على وجه اليقين من أسس المكتبة كما لا نعرف على وجه اليقين الأسباب التى دعت إلى إنشائها، كذلك لا نعرف حجمها ولا نوعيتها بل وجنسياتها. وكل ما لدينا من معلومات عبارة عن نفث مبعثرة هنا وهناك وآراء وأقوال متضاربة فى معظم الاحيان ونحن هنا نحاول جهد الطاقة أن نرسم لوحة متكاملة قريبة مما نعتقد أنه الحقيقة من تلك النفث المبعثرة، ومن المؤكد أن هناك دائمًا بذرة الحقيقة الكامنة فى بطن كل أسطورة.

بعد وفاة الاسكندر فى يونية ٣٢٣ ق.م كان هناك صراع على السلطة بين قاداته وخلصائه ومتاورات ومؤامرات حول من يخلفه. ومن الناحية الرسمية البحتة نصب أخوه المختل عقليا فيليب أرهيداوس ملكا على الامبراطورية خلفًا للإسكندر ولكن السلطة الحقيقية كانت فى يد القادة المقدونيين وغدا بيرديكاس الرسمى الأعلى على الامبراطورية. وكانت هناك صفقة من نوع ما بين بيرديكاس وبطليموس وبمقتضى هذه الصفقة عضد بطليموس بيرديكاس فى الوصاية على الامبراطورية بينما يمنح بطليموس حكم مصر. وقد قام أحد القادة المقدونيين باعداد ترتيبات الجنازة على نحو ما رأيناه سابقا وكان هذا القائد يعرف باسم أرهيداوس أيضا - وهو غير شقيق الاسكندر - وفى خلال خمسة شهور فقط ارتحل بطليموس إلى مصر لتولى السلطة ويصبح السوتراب.

كان بطليموس سليل عائلة نبيلة فقد كان أبوه لاجوس من نبلاء الريف فى مقدونيا وأمه تمت للعائلة الملكية بنسب. وكانت هناك شائعة تقول بأنه ابن فيليب الكبير ومن ثم فإنه يكون أخ غير شقيق للإسكندر. وفى صباه تربى داخل البلاط الملكى مع الاسكندر وكان دائما صديقا حميما له وقد صحبه فى حملته فى آسيا الوسطى فى أعماق الهند بل وكان واحدا من حراسه السبعة. وكان بطليموس قائدا وجنديا فذا.

وكان الرجل مسيطراً على نفسه بحيث تجنب الكثير من الاغراءات التي وقع فيها كثير من خلفاء الاسكندر ويقول عنه الثقات أنه كان بعيد النظر ثاقب البصيرة يجيد لعبة السياسة ويخرج منها متصمراً عادة. وكان إذا دخل صفقة مع رجل أو امرأة كسبها وربحها، كان يعرف بالضبط ماذا يريد ويصل إلى غايته بهدوء وسرعة وسرعان ما اكتسب الرجل حنكة سياسية بارعة ومن ثم أصبح بلا منازع المنجح خلفاء الاسكندر وكان حينما تفشل السياسة يستخدم القوة المسلحة، ويستخدم القوة المسلحة فقط عندما لا يجد مفراً من ذلك. ولقد كانت لديه الجسارة والجسارة في الاستيلاء على مصر واتخاذ القرارات المناسبة التي تتطلبها المخاطر الجسيمة.

لقد ظهر بطليموس في مصر في الوقت الذي وصلت فيه جنازة الاسكندر إلى جنوبي سوريا بقيادة أرهدايوس بعد سفر طويل من بابل. وكما المحت سابقاً قابل بطليموس موكب الجنازة بحفاوة بالغة ومراسيم شديدة القوة والروعة وأخذ الجثمان إلى ممفيس (منف) مقر حكم الفراعنة في مصر القديمة حيث أقيمت الصلوات والمراسيم الدينية للراحل العظيم. وكان بطليموس يعلم أنه بهذا الاجراء واعتزامه إبقاء الجثمان في مصر إنما يعتدى على سلطات بيرديكاس الوصى على الامبراطورية، ولكنه اتخذ هذه الخطوة لاثبات قوته الشخصية. ولقد أبقى الجثمان في ممفيس بعض الوقت حتى أتم بناء ضريح العظماء (سوما) الذي يدفن فيه جثمان الاسكندر وسائر ملوك الأسرة البطلمية على النحو الذي المحت إليه سابقاً، تلك الأسرة التي حكمت مصر ثلاثة قرون بعد ذلك.

ولما أصبح العداء هكذا ظاهراً بين بطليموس وبيرديكاس، قبض بطليموس على كليومينيس مهندس مدينة الاسكندرية وجابى الضرائب سابق الذكر وكان صديقاً للوصى على الامبراطورية بيرديكاس بل وجاسوساً له على بطليموس وحاكمه وحكم عليه بالاعدام وصادر الاموال التي نهبها من الشعب وكانت تقدر بمبلغ ثمانية آلاف تالنت (مرتب العالم في سنة كان ١٢ تالنتاً انذاك) فيما يذكر كل من أرسطو، ديوجينيز، أريان.



بعد عام واحد من تولي بطليموس السلطة في مصر قام بالاستيلاء على كيرين وهي جمهورية يونانية مستقلة غلبت بعيدا عن الحكومة المركزية لمدة قرن من الزمان وقد برز فيها علماء وباحثون وفنانون على درجة عالية من الشهرة ونظرا لوقوعها جهة الغرب فإنها تعتبر حماية لحدود مصر من جهة البحر. وفي ربيع ٣٢١ ق.م جاء بيرديكاس على رأس جيش كبير لتدمير بطليموس ومعاقبته ولم يكن قد مضى عليه عام في السلطة في مصر (نهاية ٣٢٣ ق.م) ولكن بيرديكاس فشل في مهمته واغتيل في معسكره، ورغم أنه عرض على بطليموس أن يحتل منصب الوصي على الامبراطورية محل بيرديكاس إلا أنه رفض وفضل البقاء حاكما على مصر وحدها. وقد أثبتت الأيام حنكة قراره فقد تناحر الحكام الآخرون طيلة أربعين عاما يغيرون على بعضهم البعض بينما بقي بطليموس آمنا مطمئنا في مصر لم يقترب منها أيهم. وفي خلال عامين فقط من استيلائه على السلطة في مصر وعلى جثمان الاسكندر وإيقائه فيها كان قد تم القضاء على بيرديكاس وعمله في مصر كليومينيس.

وفي العشرين عاما التي تلت كانت هناك مغامرات عسكرية محدودة، برز من بينها اثنتان تستحقان الذكر: حروبه في جنوبي سوريا وفينيقيا وانتصاره هناك واستيلائه على بيت المقدس (أورشليم ٣١٩ - ٣١٨ ق.م) كما احتل قبرص (٣٢٠ أو ٣١٥ ق.م) وبالتالي أصبحت هناك حماية مؤكدة لجزر بحر إيجه.

ولابد من التوقف هنا أيضا أمام موقعة إيسوس ٣٠٥ - ٣٠٤ ق.م حيث قام أنتيجونيوس العجور بحشد قوة ضاربة قوامها قوات مشاة بطول ثمانين ألف قدم، ثمانمائة حصان، ثلاثة وثمانون فيلا هنديا، وقوات بحرية ١٥٠ سفينة حربية ومائة سفينة ناقلة جنود وعتاد. تلك الموقعة اشترك فيها ضد أنتيجونيوس كل من ليسيمachus وسلوقس وكاساندر حيث كسبوا المعركة وتحقق لهم النصر في صيف ٣٠١ ق.م. ورغم أن بطليموس لم يشترك في المعركة ولم يظهر فيها إلا أنه طالب بنصيبه من الغنائم وحصل على جنوبي سوريا للمرة الرابعة. وبعد هذه الموقعة كان في حوزة بطليموس إضافة إلى مصر جنوبي سوريا وفلسطين وقبرص ولم يدخل بعدها في

اية حروب واستطاع بطليموس بعد ذلك أن يرسى دعائم الامبراطورية البطلمية واتخذ من الاسكندرية عاصمة لها وأخذ فى تطوير الاسكندرية ووضع دعائمها الاساسية كعاصمة ليس لمصر وحدها ولكن كعاصمة للعالم كله ويتم ما أنجزه كليومينيس بين العشرين من يناير ٣٣١ ق.م وحتى نهاية ٣٢٣ ق.م فى ظل الاسكندر الاكبر، وكان ما أنجز كثير وكثير جدا.

ومنذ نهاية ٣٢٣ ق.م وحتى ٣٠١ ق.م أى طيلة واحد وعشرين عامًا رغم أن بطليموس كان مشغولاً فى الامور العسكرية وارساء قواعد الامبراطورية، إلا أنه على الجانب الآخر أعطى وقتاً كافياً لتطوير مدينة الاسكندرية وتنفيذ بعض المشروعات الحيوية فيها بما يلقى بها كحاضرة ملكه. وقد أسسنا كيف دعت حنكته السياسية أن يبقى جثمان الاسكندر فى مصر وأن يبنى لهذا الجثمان الضريح الفخم الضخم كى يدفن فيه ويضع فيه أيضاً كل متعلقات الاسكندر. لقد نجح بطليموس أيضاً فى خلق دين جديد مزيج من ديانات اليونانيين والمصريين وجمع بين الزعيم الدينى اليونانى تيموثيز والزعيم الدينى المصرى مانيو، وهما معاً ابتدعا الديانة الجديدة التى أشرفنا إليها عبادة سيرابيس التى أرضت الطرفين وجمعتهما فى شعائر جماعية واحدة. وتوفر بطليموس الاول على انشاء معبد السيرابيوم ثانياً أفخم وأضخم مبنى فى العالم القديم.

ونأتى بعد ذلك إلى الفضل الاكبر الذى قام به الجندى الفذ والسياسى المحنك بانى الامبراطورية، منشئ الديانة الجديدة ونمى بهذا الفضل المتحف والمكتبة سواء كان هو صاحب الفكرة أو بايحاء من ديمتريوس الفاليرى.

هناك جدل كبير حول منشئ المتحف والمكتبة فثم من يقول بأنه بطليموس الاول (سوتر) وثم من يقول بل ابنه بطليموس الثانى (فيلادلفوس)، وسواء كان هذا أو ذلك فإن المصادر تجمع على أن الفكرة نبتت من ديمتريوس الفاليرى، وحيث لا يوجد إلا مصدر واحد يقول بأن فكرة المتحف والمكتبة جاءت من طرف شخص آخر أوحى بها إلى بطليموس.

لقد أورد الكسندر بارسوتز عدداً كبيراً من النصوص والنقولات من مؤلفين مختلفين

كلهم اكلوا على أن صاحب الفكرة هو ديمتريوس الفاليري ومن ثم فإن هذا الشخص يكون هو صاحب المشروع وهو الذى أوعز بإنشاء المتحف والمكتبة ولأن ديمتريوس الفاليري هذا عاصر الملكين: بطليموس الاول (سوتر) وبطليموس الثانى (فيلادفوس) فإن السؤال إذن من من الملكين يكون المنفذ للمشروع؟ هل هو بطليموس الاول؟ أم ابنه بطليموس الثانى؟ وللإجابة على هذا السؤال فإن الأمر يحتاج إلى التوقف برهة أمام حياة ديمتريوس الفاليري وعلاقته بالملكين ومقارنة هذه الحياة بالنصوص التى تحدثت عن تاريخ إنشاء المتحف والمكتبة وعن ظروف إنشائهما. وربما كان أحسن من كتب فى هذه الجزئية هو الدكتور جورج هنريتش كلييل عن متحف الاسكندرية والذى نشره فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ١٨٣٨ وقد أكد فى بحثه بدون تردد أن المتحف والمكتبة أنشئا ما بين سنة ٣٠٠ و ٢٩٠ ق.م ومن ثم يكون الانحلال العظيم حدث فى عهد بطليموس الاول. ويحلل الدكتور مصطفى العبادى شخصية وسيرة ديمتريوس الفاليري لكى يصل إلى نفس النتيجة. ومن المعروف أن يمتريوس الفاليري (ديمتريوس من فاليريون) كان تلميذا من تلاميذ ارسطو وعضوا بارزا فى مدرسة المشائين التى أسسها ارسطو وأصبح حاكما مستبدا لاثينا إلى أن طرد سنة ٣٠٧ ق.م ففر إلى مدينة طيبة فى وسط اليونان ومنها ارتحل هاربا متخفيا إلى مصر حيث لجأ إلى بلاط بطليموس سوتر. وكان الرجل إلى جانب عمله السياسى مفكرا ومثقفا وعالما فى مجالات مختلفة ومن ثم هيت له كل الظروف ليكون مستشارا للملك.

ويقول الدكتور جورج كلييل فى هذا الصدد أن بطليموس الاول كان لا بد وأن يرحب به ويشجعه على الإقامة فى بلاطه لانه وجد فيه الشخص المناسب الذى يساعده فى جعل الاسكندرية أثينا الثانية فى عالم الفن والعلم والأدب وهو ما سعى إليه كما رأينا من قبل. صحيح ليس هناك من بين الكتاب المعاصرين لتلك الفترة ما يؤكد ذلك ولكن أيضا ليس هناك ما ينفى أو يعكر صفو تلك الحقيقة. لقد بدأت الفكرة بأن أوعز ديمتريوس إلى الملك بأن يستقطب من أثينا العلماء والمفكرين والفلاسفة أقرانه على الأقل من مدرسة الليسيوم وبالتالي عندما اقتنع الملك بالفكرة كان لا بد من إنشاء أكاديمية لهم على غرار الليسيوم أو أكاديمية افلاطون، تجمعهم وتدير لهم فيها

أسباب العيش والعمل ومن هذا المدخل فكر بطليموس فى إنشاء المتحف الذى هو أكاديمية على غرار مدارس أثينا.

ولعله من نافلة القول أن نذكر هنا بأن الاقتناع السريع من جانب بطليموس بإنشاء الأكاديمية يرجع إلى أنه هو نفسه كان تلميذا لأرسطو مع الاسكندر فى مدينة بيلا عاصمة مقدونيا آنذاك، ومن هنا أيضا كان احترامه للمدرسة المشائين وقد حاول استقطاب رئيس المدرسة بعد وفاة أرسطو وهو المدعو ثيوفراستس الذى رفض الحضور إلى الاسكندرية فدعا تلميذه الأشهر سترابون.

ولقد ظل ديمتريوس الفاليري فى بلاط بطليموس الاول معززا مكرما إلى أن توفى بطليموس الاول سنة ٢٨٣ ق.م؛ فتبدل الحال حيث غضب عليه بطليموس الثانى (فيلادلفوس) لمواقف سابقة منه فأبعده عن البلاط وعن الاسكندرية فى أبوصير حتى توفى ودفن هناك. ومن هنا لا يمكن أن يكون بطليموس الثانى هو الذى أنشأ المكتبة بداية بإيعاز من ديمتريوس الفاليري بل ربما يكون قد توسع فيها بعد وفاة أبيه وتولييه هو السلطة من بعده. وهذه القصة نفسها نصادفها فى حالة (بيت الحكمة فى بغداد) المكتبة العظيمة التى أنشأها هارون الرشيد وتوسع فيها ونماها ابنه المأمون

وطالما أننا قد أثبتنا الآن أن بطليموس الاول هو الذى أنشأ المتحف والمكتبة بناء على نصيحة من ديمتريوس الفاليري فإن السؤال الذى يفرض نفسه بعد ذلك هو متى تم الانشاء مع الاخذ فى الاعتبار أن إنشاء المكتبة قد تم قبل انشاء المتحف فيما يقول الدكتور جورج كلييل، وأن المتحف نفسه اكتمل ما بين ٢٩٠ - ٢٨٤ ق.م قبيل وفاته مباشرة؛ وبالتالي فإن المكتبة تكون قد أسست ما بين ٣٠٠ - ٢٩٠ ق.م.

والمشكلة التى تواجهنا حقيقة أن المصادر المختلفة لا تربط بين المتحف وبين المكتبة إلا فيما ندر فكثير من المصادر تتحدث عن المتحف وحده ومصادر أخرى تتحدث عن المكتبة وحدها مما يشير إلى صديق ما ذهب إليه الدكتور كلييل من أن المكتبة قد نشأت قبل المتحف وأنها لم تكن كما ذهب البعض جزءا منه بل وجدت الصلة فيما بعد عندما احتاج الباحثون إلى استخدام مصادر المكتبة وأدواتها ونحن نغد أن تيمون

وهيروداس يشيران في أشعارهما إلى المتحف فقط. وفي القرن الثاني قبل الميلاد نجد أريتياس يتحدث عن المكتبة وحدها وهو أقدم من وصلتنا كتاباته عن المكتبة. كذلك فإن استرابون عندما وصف الاسكندرية لم يتحدث عن المكتبة بل تحدث فقط عن المتحف. وفي العصر الروماني نجد الكتاب يتحدثون عن المؤسستين معاً على نحو ما فعل أثينايموس وإيريانوس في القرن الثاني الميلادي.

لا ينبغي أن ننزعج من مصطلح المتحف (الموسيون) وننظر إليه على أنه مكان لعرض التحف ولكنه في حقيقة الأمر كان أكاديمية أو بمعنى عصري مركز بحوث واسع النطاق يضم كبار الباحثين والعلماء المنغمسين في القيام بدراساتهم وبحوثهم وتجاربهم العلمية وإلى جانبهم شباب الباحثين ممن يتدربون على منهج البحث وأساليب عمل الدراسات والبحوث تحت إشراف شيوخ البحث وأساتيئه وهكذا كان يتم التواصل العلمي بينهم. ولم يكن المتحف مدرسة يلقي فيها العلم بطريقة منظمة أو منتظمة وإن لم يعدم الأمر وجود ما يمكن أن نطلق عليه المحاضرات العامة أو المناظرات العلمية التي كان الملك يحضر جانباً منها. ولذلك نعتقد أن المتحف كان قاصراً على صفوة العلماء وأنه لم يلتحق به إلا من يسمح له الملك بالانخراط في سلك أعضاء المتحف.

ونظراً لأننا لم يصلنا وصف تفصيلي لمبنى المتحف أو أقسامه وكل ما وصلنا هو وصف عام قدمه لنا استرابون الذي شاهده عند زيارته للاسكندرية ووصفه من خلال وصفه لها يقول استرابون أن هذا المتحف أو الموسيون يقع في حي البروكيوم أي الحي الملكي وله ممشى طويل محاط بأعمدة مزدوجة وينتهي برواق معقود. وفيه بيوتات من بينها قاعة كبيرة للطعام يأكل فيه أعضاء الموسيون، وهم يشكلون جماعة واحدة لهم ملكية مشتركة معهم كاهن يعينه الملك (ثم الامبراطور في العصر الروماني) ويكون هذا الكاهن رئيس المتحف - يقول الدكتور مصطفى العبادي ربما يكون المتحف قد بنى على نفس طريقة أكاديمية أفلاطون وليسيوم أرسطو في أثينا وأن ديمتريوس الفاليري الذي أشرف على تخطيط وبناء المتحف كان متأثراً إلى حد كبير بأكاديميات أثينا

وخاصة الليسيوم الذى كان يرمى إليه .

وقد رأينا أن الملك بطليموس الاول حرص كل الحرص على استقطاب العناصر العلمية المتميزة للانخراط فى سلك علماء وباحثى المتحف وفى نفس الوقت تربية أبنائه وتأديبهم . وتذكر المصادر أنه من بين من استفاد منهم عالم الطبيعة استراتون والأديان اللغويان فيليثاس من قرص وزيئودوتس من أفيسوس والرياضى الأشهر اقليدس .

كان المتحف يحول كلية من قبل الدولة أى من ميزانيتها العامة وكان العلماء والباحثون فى المتحف يتقاضون إلى جانب الإقامة الكاملة - سكن وطعام وانتقالات - مرتبات شهرية كانت تتراوح ما بين ثلاث وأحد وخمسة تالينات شهرياً على حسب الدرجة والمقام . ونحن وإن لم تصلنا جداول المرتبات فإننا نستطيع من السياق تقديرها واستنتاجها على النحو السابق، ذلك أن سوسيبيوس الأديب والناقد اشتكى لبطليموس الثانى فيلادلفيوس من عدم حصوله على مرتبه الملكى، كما أن بناريتوس العالم المغمور كان يتقاضى اثنى عشر تالنتاً؛ وأن عالم الطبيعة المشار إليه استراتون الذى كان يعلم ابن بطليموس سوتر قد تقاضى مبلغ ثمانين تالنتاً نظير هذا العمل كله ولا نعرف المدة التى انقضت فى هذا العمل . من ناحية أخرى أعفى العلماء والباحثون فى المتحف من الضرائب وهو امتياز كان يحصل على المدرسون فى عهد بطليموس الثانى .

ويبدو أن المتحف رغم اشتغاله الأساسى بالعلم إلا أنه كان فى نفس الوقت مكاناً لريات العلوم والفنون حيث وضعت تماثيل هذه الريات ربما كراعات للعلوم والفنون والآداب، وربما يفسر هذا أيضاً أن رئيس المتحف كان كاهناً إلى جانب وجود مدير للشئون المالية والإدارية فيه .

ورغم أن المتحف قد تأثر بالظروف السياسية باعتباره مؤسسة حكومية ممولة من قبل الدولة ويعين رئيسه ومديره بل والعلماء والباحثون فيه بموافقة من الملك، إلا أنه لم يقف عن العمل وعمارة النشاط حتى بعد زوال ملك البطالمة ودخول مصر والاسكندرية إلى حوزة الحكم الرومانى . ولقد حياه الرومان بكل العناية والرعاية واستمر الوضع على ما كان عليه أيام البطالمة من حيث التمويل الحكومى والإقامة

الكاملة مع الرواتب الشهيرة والاعفاء الضريبية وزيارة الأباطرة الرومان له والالتقاء مع العلماء وعقد المناظرات معهم.

لقد حرص الأباطرة الرومان هم الآخرون على استقطاب العناصر العاملة إلى المتحف وقد قام كثير من العلماء والباحثين بإضافات علمية لها خطرهما وشأنها ومن بين العلماء والباحثين الذين برزوا وازدهروا في المتحف في ظل الرومان هيرون الذي اخترع عدداً من الآلات الميكانيكية، وكلوديوس بطليموس عالم الفلك والجغرافى الشهير وجالينوس الطبيب المؤلف وقيلون وأفلوطين أصحاب المذاهب الفلسفية الجديدة في ذلك العصر وكذلك أريوس الفيلسوف الرواقى وغيرهم كثير.

وسواء نشأ المتحف حول المكتبة أو كانت المكتبة أداة من أدوات المتحف شأنها شأن حدائق الحيوان والنباتات والمعامل والمراصد الفلكية فقد كانت مؤسسة قائمة بذاتها وفاقت شهرتها شهرة المتحف نفسه، ربما لأنها نشأت قبله واستمرت بعده وربما لأنها كانت أهم أدواته تستقيم بدونه ولا يستقيم بدونها. المهم أنها نالت من الخطوة والاهتمام والكتابة ما لم يحظ به المتحف نفسه.

ونحن لا نعرف على وجه اليقين ماهى الأسباب التى دعت إلى إنشاء المكتبة أو الأهداف المتبناة من وراء إقامتها. وهل كانت مجرد محاكاة لمكتبات سبقت أو مكتبات عاصرت؟ هل كانت مكتبة يونانية أم مصرية أم قصد بها أن تكون مكتبة عالمية؟

ليست لدينا فى حقيقة الامر إجابات محددة وقاطعة فى هذا الصدد وليس لاية إجابات أن تكون محددة أو قاطعة وإلا خرجت عن طبيعة الأشياء.

نحن نعلم أن الاسكندر الأكبر كان تلميذاً لأرسطو الذى كانت عنده مكتبة خاصة عظيمة الشأن أفاد منها الاسكندر وتأثر بها ومن المحتمل أنه عندما خطط لاقامة مدينة الاسكندرية كان من بين ما خطط له أن يكون فيها أكاديمية ومكتبة عظيمة على غرار أكاديمية ومكتبة أرسطو وهو الامر الذى نقله خلفاؤه لأنه هو نفسه لم يشأ له القدر أن يرى الاسكندرية بعدما قامت وأمسّت.

هناك آراء تشي بأن مكتبة الاسكندرية قصد بها أن تكون مستودعاً للفكر اليوناني، ولكن هناك على الجانب الآخر آراء توحى بأن مكتبة الاسكندرية قد قصد بها أن تكون مستودعاً للفكر العالمى سواء كان يونانياً محضاً أو أجنبياً نقل إلى اللغة اليونانية أو كتب أصلاً باللغة اليونانية أو بقى بلغته الأصلية وخطه الاصلى. وأنا أميل فى حقيقة الأمر إلى هذا الرأى الأخير. لقد قامت مكتبة الاسكندرية منذ بادية أمرها كى تكون مكتبة عالمية حيث بدأ الاسكندر الأكبر هذا الاتجاه إذ أمر بنقل التراث الفارسى والأشورى، والبابلى والمصرى إلى اللسان اليونانى وسواء أنه أمر بحرق الاصول أم أن هذه فرية افترت عليه فى بعض المصادر فإن اللغة اليونانية قد ثريت بالفكر الاجنبى الذى نقل إليها ومن هنا تكون مكتبة الاسكندرية مكتبة عالمية قامت على الارض المصرية ذات التاريخ العريق فى إنشاء المكتبات، ومواد الكتابة وأدوات الكتابة وأمناء المكتبات وحركة نشر الكتب والتأليف والمؤلفين فى كل المجالات؛ ويقرار من الحكام اليونانيين.

### إدارة المكتبة

إن مما يؤكد على استقلال المكتبة عن المتحف أنه كانت لها إدارة مستقلة قائمة بذاتها وأن رئيس المكتبة كان يعين بقرار من الملك شأنه فى ذلك شأن رئيس المتحف ومديره، مما حمل البعض على اعتبار المؤسستين صنوان على مستوى واحد وهو ما أميل إليه وتشير إليه كل الشواهد ولقد حاولت جاهداً أن أوفق قائمة رؤساء المكتبة من العديد من المصادر وعلى رأسها القائمة التى تناثرت فى حاشية تريتريس ويردية أوكسيرنخس (البهنسا من أعمال الصعيد). وربما تتفق قائمتنا جزئياً مع بعض القوائم التى استنبطها زملاء لنا وربما تختلف فالأمر كله متروك للمناقشة، لأنه فى حالة مكتبة الاسكندرية القديمة يكون الاستنتاج والاستنباط هو الاصل والاساس وليس ثمة شئ مسلم به:



قائمة خليفة	قائمة العبادى	قائمة غندور
ديمتريوس القاليرى		
٢٩٠ - ٢٨٢ ق.م		
زينودوتس الافوسى	زينودوتس	زينودوتس الافسى
٢٨٢ - ٢٦٠ ق.م	٢٨٥ - ٢٧٠ ق.م	٢٨٤ - ٢٦٠ ق.م
كاليماخوس الكرىنى		كاليماخوس البرقاوى
٢٦٠ - ٢٤٠ ق.م		٢٦٠ - ٢٤٠ ق.م
ابولونيوس الرودىسى	ابولونيوس الرودىسى	ابولونيوس الرودىسى
٢٤٠ - ٢٣٠ ق.م	٢٧٠ - ٢٤٥ ق.م	٢٤٠ - ٢٣٥ ق.م
ايراثوتيز الكرىنى	ايراثوتيس	ايراثوتيس القورىناى
٢٣٠ - ١٩٦ ق.م	٢٤٥ - ٢٠٤ أو ٢٠١ ق.م	٢٣٥ - ١٩٥ ق.م
ارستوفانيس اليزنطى	ارستوفانيس	ارسطوفان اليزنطى
١٩٦ - ١٨٥ ق.م	٢٠٤/٢٠١ - ١٨٩ أو ١٨٦ ق.م	١٩٥ - ١٨٠ ق.م
ابولونيوس الاليدجرافى	ابولونيوس «المصنف»	ابولونيوس ليدجرافوس
١٨٠ - ١٦٠ ق.م	١٨٩/١٨٦ - ١٧٥ ق.م	١٨٠ - ١٦٠ ق.م
ارستارخوس الساموى	ارستارخوس	ارسطوخاروس الثامورىثى
١٦٠ - ١٤٦ ق.م	١٧٥ - ١٤٥ ق.م	١٦٠ - ١٤٦ ق.م
	كوداس (الرماع)	
	١٤٥ - ١٦٦ ق.م	
اونيساندر القيرصى		اونيسندر القيرصى
١٠٠ - ٨٩ ق.م		١٠٠ - ٨٩ ق.م
كليمون السكندرى		كليمون الاسكندرى
٥٠ - ٧٠ ق.م		
ديونيسيوس بن جلوكوس		(من المرجح انه فى القرن الاول الميلادى)
١٠٠ - ١٢٠ ق.م		
كايوس يوليوس قاسينوس		
١٢٠ - ١٣٠ ق.م		

ومن الواضح أن القائمة التي أعدها صاحب هذا البحث تحمل أحد عشر اسماً وتصل إلى نحو منتصف القرن الثاني الميلادي ولا تتضمن اسم كوداس (الرماح) الذي انفردت به قائمة العبادي ويغطي ثلاثين عاماً مفقودة من القائمتين الآخرين. وتتضمن قائمة العبادي سبعة أسماء فقط اتفقت في ست منها مع القائمتين الآخرين وانفردت كما رأينا باسم كوداس الرماح الذي يغطي فترة ثلاثين عاماً لم تظهر في القائمتين الآخرين. وقد أنت قائمة غندور على تسعة أسماء كلها ظهرت في القائمة الأولى. والخلاف بين القوائم الثلاثة في تواريخ تولى رئاسة المكتبة وضع طبيعي لأنه يوجد مثيل له حتى في تواريخ الميلاد، كما أن الخلاف في هجاء الأسماء وضع طبيعي بسبب الخلاف في نطق الأسماء ونقحرتها من اليونانية إلى العربية. نفس هذا الخلاف حتى في ترتيب رؤساء المكتبة لنجد داخل قوائم تزيتريس نفسه فقد جاءت بعد رينودوس بثلاث طرق مختلفة هي:

القائمة الأولى	القائمة الثانية	القائمة الثالثة
كاليماخوس الكريزي	أبولونيوس السكتري	كاليماخوس
إيراتوستيتر الكريزي	إيراتوستيتر	إيراتوستيتر
أبولونيوس الروديسي	أريستوفانيس البيزنطي	أريستوفانيس البيزنطي
أريستافانيس البيزنطي	أبولونيوس «المصنف»	أبولونيوس الأيلوجرجالي
أريستارخوس الساموثي	أريستارخوس الساموثي	أريستارخوس

هذه الأسماء التي ظهرت كرؤساء للمكتبة أو مديريها يرى الباحثون في بعضها أنها لم تصل إلى مرتبة رئيس أو مدير المكتبة ومن بينهم على سبيل المثال كاليماخوس، ويرون أنه كان مجرد أمين مكتبة وربما رئيس قسم فقط وأن وجه شهرته الحقيقي وارتباطه بالمكتبة يرجع إلى الفهرس العظيم الذي أعده لمجموعات المكتبة؛ كما أن من بينهم أيضاً كوداس الرماح الذي يتساءل الدكتور مصطفى العبادي عن عمل رجل يحمل الرمح بين العلماء ثم يجيب على تساؤله بأنه تعيين استثنائي لظروف استثنائية عام ١٤٥ ق.م، وهي ظروف استثنائية بطليموس الثامن بالسلطة في أعقاب الحرب الأهلية مع أخيه الأكبر وأن كوداس عين لينفذ سياسة بطليموس الثامن والقضاء

على خصومه داخل جماعة الموسيون حيث نعرف أن أريستارخوس رئيس المكتبة السابق عليه اعتزل المنصب سنة ١٤٥ ق.م. وفر خارج البلاد مع علماء آخرين.

وتضيف بردية أوكسيرنخوس بعد كوداس الرماح هذا بطريقة غامضة غير مفهومه أسماء أمونيوس، زيتو، ديوكولوس، أبولونيوس، وكلهم من المؤلفين الذين التحقوا بالمتحف ولكن ليس ثمة دليل إطلاقاً على أنهم تولوا رئاسة المكتبة بل ولا حتى كانوا من المكتبيين العاديين فيها. ورغم أن الدكتور مصطفى العبادى لم يسجل اسم أونيساندر فى قائمته إلا أنه فى تعليقه ذكر أن أونيساندر هذا هو آخر من ورد أنه تولى المنصب وهو قبرصى من بافوس ويستند فى ذلك إلى نقش من عهد بطليموس التاسع (سوتير الثانى) حيث نحمد أونيساندر يحمل لقب المشرف على المكتبة الكبرى فى الاسكندرية ويقول سيادته بأنه من المحتمل أن أونيساندر هذا كان من أعوان سوتير الثانى فى فترة نفيه فى قبرص ثم كرفىء بتعيينه فى منصب المشرف على المكتبة بعد عودة الملك إلى الاسكندرية فى سنة ٨٨ ق.م.

ولابد حتى للعين العابرة من أن تلاحظ أن رؤساء المكتبة حسب القائمة السابقة قد جاءوا من مناطق مختلفة وجنسيات متعددة مما يؤكد عالمية المكتبة ويفسر ذلك أن مدينة الاسكندرية نفسها كانت فى ذلك الوقت مدينة جديدة جاء سكانها كما أشرنا سابقاً من أصقاع الأرض المختلفة ولم يكن فيها ما نطلق عليه السكان الأصليون أو السكان الوطنيون أصحاب المكان اللهم إلا مجموعة الصيادين المصريين فى قرية راقودة والذين لم يكونوا يمثلون سوى كسرة من سكان الاسكندرية بعد ذلك. ومن ثم فإنه طاملاً كانت الاسكندرية مدينة عالمية ومكتبتها مكتبة عالمية كان لابد للعاملين فيها ولإدارتها بالضرورة أن يكونوا عالمين يتتبعون إلى جنسيات ومناطق عالمية.

لقد كانت الشخصية الأولى فى رئاسة المكتبة هو بالضرورة المشرف على إنشائها ديمتريوس الفاليري، الرجل الذى جاء من اليونان الأم، والذى تصفه المصادر بأنه شخص غير عادى، ثرى فى تجاربه سواء الناجحة أو الفاشلة، صاحب قلم ومفكر، فيلسوف ورجل دنيا، سياسى محتك، شرب من معين القوة، عاش عيشة فحمة مترفة

ولكنه أيضاً أكل العيش الجاف والجبن الخشن وشرب التفالة. لقد كان الرجل الذى فهم بطليموس الاول وفهمه بطليموس الاول ووثق فيه واتخذ صديقاً وصاحباً ومستشاراً. وفى سنوات عمره المتأخرة شهد عصره الذهبى بمصاحبة الملوك وعليه القوم لدرجة أن بطليموس سوتر استشاره كما رأينا فيمن يخلقه على العرش من أبنائه.

ولد ديمتريوس فى فاليريون، أحد موانئ أثينا الثلاثة فى أى من السنوات بين ٣٥٤ - ٣٤٨ ق.م. وكان أبوه يدعى فانوستراتوس. ومهما كانت نشأته المتواضعة فلقد تلقى تعليم شباب أثينا من الطبقة الراقية، ولقد واصل تعليمه العالى بعد ذلك فى الليسيوم (أكاديمية أرسطو) وتعلم على يد ثيوفراستوس تلميذ وخليفة أرسطو، وتشرب ينبوع حكمة هذه المدرسة، ورغم أنه لم يعاصر أرسطو إلا إنه بالضرورة سمع عنه وتعلم الأخلاقيات النبيلة التى دعا إليها ونمط الحياة الهادئ الوديع المعتدل الذى كان يدرسه فى الليسيوم والذى يقوم على ملاحظتنا الفاحصة للأشياء ولأنفسنا واعتناقنا لكل ما هو خير ورفضنا لكل ما هو سوء وشرير. ولقد دخل ديمتريوس معترك الحياة اليومية العامة بين الرابعة والعشرين والثلاثين من عمره (حوالى ٣٢٤ ق.م) وظهرت مواهبه الفذة كخطيب مفوه. وكان أخوه هيرايوس عضواً نشيطاً فى الحزب المعادى للمقدونية وضد الاسكندر وحركته، كما اشترك فى الحرب اللامية ولكنه أعدم مع كل من ديموشثينز وهيريدس. ورحل ديمتريوس إلى بيرايوس للإقامة مع نيكانور حيث التقى مع كاساندر والتحق بحزب فوكيون حزب السلام والاصلاح. وكان كاساندر واحداً من حكماء اليونان ويحفظ أشعار هوميروس عن ظهر قلب ورجلاً من رجال النهضة اليونانية وقد قام بتعيين ديمتريوس نائباً له فى حكم أثينا وكان ذلك من حظ أثينا فيما يقول المؤرخون وبقي فى هذا المنصب عشر سنوات (٣١٧ - ٣٠٧ ق.م) وربما كان ذلك من أصعب المهام التى نجح فيها ديمتريوس ويقال أن مواطنة اعترافاً بفضلته صنعوا له ٣٦٠ تمثالاً فى أوضاع مختلفة. وإلى جانب للخدمات السياسية والإدارية التى قدمها لأثينا قام بأعمال ثقافية وفكرية جليلة لبلده ومن بينها قيامه بإحصاء السكان ولم يكن أحد قبله قام بهذا العمل ونذكره هنا فقط على سبيل التمثيل:

٩٠,٠٠٠ مواطن أصلى

٤٥,٠٠٠ أجنبى

٣٦٥,٠٠٠ عبد

---

٥٠٠,٠٠٠ مجموع السكان

ويعد تقسيم امبراطورية الاسكندر عقب وفاته كان من نصيب ديمتريوس مدينة بيرايوس وما حولها ونصبه مواطنه هو وأباه ملوكا وآلهة. ثم قلبت الدنيا له وجهها ونفى إلى طيبة (اليونانية) وربما ارتحل بعدها إلى مقدونيا واشتغل بالعلم والفلسفة طيلة سنوات النفى.

لقد كتب الرجل فى كل المجالات تقريبا من الحب إلى التشريع ومن هوميروس إلى بطليموس وكتب أشعاراً دينية ظل الناس يرددونها طيلة ستة قرون بعده وكتب تاريخاً مطولاً عن أثينا من واقع الوثائق التى توافرت لديه. وكنا نود لو وصلتنا السيرة الذاتية التى كتبها عن نفسه بعنوان (سنوات سيادتي العشر) لقد كان الرجل آخر الكتاب العظام فى الفترة الاثينية وربما أول عظماء فترة الاسكندرية.

لقد دعاه بطليموس الأول (سوتر) إلى القدوم إلى الاسكندرية سنة ٢٩٧ ق.م ولم يكن من بين من دعاهم بطليموس إلى بلاطه من ساسة وشعراء وفلاسفة وعلماء ولغويين وخطباء من يعدل ديمتريوس الفاليري فى خدماته للملك والمحاوالت لمدينة الاسكندرية ولل فكر الانسانى عموماً. ومن السهل أن نفهم كيف أصبح هذا الرجل متعدد المواهب صديقاً ومستشاراً للملك وأخلص خلصائه ولكن من الصعب أن نفهم كيف احتفظ بهذه المنزلة طوال حياة بطليموس الأول وكيف أنه كان يختار للملك الكتب التى يقرأها بل وكيف حمل الملك على قراءة ودراسة كتب الديمقراطية والحكومات التحررة، بل وكيف كان الملك يستشير فيمن يخلفه فى الحكم من أبناء روجتيه؟ مما أغضب عليه بطليموس الثانى فيما بعد وجعله يتفيه إلى صعيد مصر، حيث عضه الصل (أفى صغير) فمات ودفن هناك.

لقد تابع الرجل خلال حكم بطليموس الاول عملية دعوة الأدياء والفلاسفة والعلماء إلى الاسكندرية التي أدرك بحسه أنها ستكون درة مدن العالم ومركزها الفكرى والتجارى والسياسى. ولذلك اقترح على بطليموس الاول انشاء الجامعة المصرية التي عرفت باسم المتحف (الموسيون) مكان التقاء العلماء والباحثين من كل أنحاء الارض ولتكون محرابا لربات الفنون التسع. وهنا يجب أن يكون للعلماء سكن وإقامة وقاعات محاضرات ومناظرات ومعامل ومراصد وقاعات طعام وحدائق حيوانات ونباتات. هناك يجب أن تجتمع علوم آسيا وافريقيا وأوروبا ولم يكن ديمتريوس بالرجل الخالم بل كان الرجل المفكر، الرجل المنفذ. وإلى جانب اقتراح انشاء الجامعة المصرية، اقترح انشاء مكتبة الاسكندرية وشرع فى جمع أول مجموعة كبيرة من الكتب والتي قدرها البعض بنحو مائتى ألف مجلد وقد أدرك بطليموس سوتر بحسه ومعرفته قدرة الرجل فعينه مشرفاً على المكتبة فيما تذكر المصادر. وقد أمل ديمتريوس أن يصل بتلك المجموعات إلى نحو خمسمائة ألف مجلد فى عهده. ومن هنا يكون ديمتريوس الفاليرى هو صاحب الفضل فى تنفيذ مكتبة الاسكندرية القديمة وأول رئيس لها وواضع لبنات المجموعات الاولى فيها وذلك فى عهد بطليموس سوتر. ولقد نمت المجموعات بعد ذلك من بطليموس إلى بطليموس حسب اهتمامات كل منهم وما يرصده للمكتبة من امكانيات وحسبما يتوافر لها من مديرين ورؤساء ومن المؤكد أن بطليموس الثانى (فيلادفوس) قد حباها بنصيب كبير من اهتمامه ورصد لها مبالغ كبيرة من المال ساعدت بالقطع على تنميتها وتوسيع نطاق خدماتها.

من الشخصيات التي لمعت فى إدارة المكتبة زينودوتس من إفسوس الذى خلف ديمتريوس الفاليرى وقد جاء زينودوتس بطبيعة الحال بعد نفى ديمتريوس الفاليرى إلى صعيد مصر واعتلاء بطليموس الثانى عرش مصر. ومن المعروف أن زينودوتس كان تلميذ فيليتاس الشاعر اللامع والنحوى البارع ومرمى بطليموس الثانى. وقد كان زينودوتس نحويًا وناقلاً. وقد ولد فى سنة ما بين ٣٢٥ و ٣٢٠ ق.م. ولقد بدأ نجمه فى السطوح حوالى ٢٨٢ ق.م أى بعد وفاة بطليموس الاول مباشرة ولا نعرف متى توفي. وترى المصادر أنه أول رئيس للمكتبة، وربما كان ذلك صحيحا إذا اعتبرنا أن

ديمتريوس الغالييري هو المنشئ لها ولم يتول هذا المنصب بصفة رسمية وقد قضى الفترة من ٣٠٧ - ٢٨٢ (أو من ٢٩٦ - ٢٨٢ فى مصادر أخرى) ق.م فى مجرد جمع الكتب من جميع أنحاء العالم وتنظيمها وتهيتها للاستخدام وكان مديراً للمكتبة الملكية قبل فتحها أمام جمهور المستفيدين ولكن المنطق والانصاف يقتضى منا أن نضع ديمتريوس الغالييري كأول مدير للمكتبة وزينودوتس كثانى مدير لها.

كذلك فإن من الشخصيات التى لمعت فى سماء مكتبة الاسكندرية فى عهد بطليموس الثانى شخصية الكسندر الأيتولى (من آيتوليا) المولود فى نحو ٣١٥ ق.م وهو شاعر ونحوى عاش معظم حياته فى الاسكندرية. وكان واحداً من الشعراء السبعة المعدودين فى التراجميدىا السكندرية. وقد كلفه بطليموس الثانى باعداد قائمة بالمسرحيات الكوميديّة والتراجيديات وعينه فى إحدى الوظائف المرموقة فى مكتبة الاسكندرية وقام بلدور هام فى إدارة وتنظيم المكتبة وربما مساعداً للرئيس الثانى للمكتبة زينودوتس وإن ذكرت بعض المصادر أنه خلفه فى وظيفة المدير أو الرئيس. ونحن نعرف أن الكسندر الأيتولى ترك الاسكندرية سنة ٢٧٦ ق.م والتحق ببلاد أنتيجونوس جوناتيس فى بيللا. ولم يصلنا من أعماله إلا مسرحية تراجيديات واحدة وبعض القصائد.

ومن الاسماء التى وصلتنا من مكتبة الاسكندرية وكان دور فى إدارة وتنظيم المكتبة وإن لم تظهر فى قائمة المديرين اسم ليكوفرون من تشاليكيس كاتب التراجميدىا والشاعر والنحوى والذى لا نعرف من حياته إلا التزاليسير ولقد تبناه المؤرخ ليكوس عدو ديمتريوس اللدود. وهو من الشعراء السبعة المعدودين فى التراجميدىا السكندرية وهو صاحب القصيدة العظيمة الاسكندرية التى ظل الناس يرددونها قروناً طويلة. ورغم أن مسرحياته كانت ضعيفة المستوى إلا أن أشعاره كانت قوية ناعمة أعجبت بطليموس وأرسنوى ومن أهم أعماله دراسته المستفيضة حول الكوميديا فى تسعة كتب. لا نعرف بالضبط متى ولد (فى سنة ما بين ٣٣٠ - ٣٢٠ ق.م) ولا نعرف متى توفي وإن كان أوفيد يقول بأنه قتل بسهم. وتذكر بعض المصادر أنه عين مديراً

للمكتبة بعد الكسندر الأيتولى، ولكن ربما كان مساعداً للمدير أو رئيس قسم على أكثر تقدير. وتقدم المصادر أعماله الفكرية بنحو ستة وأربعين أو أربعة وستين مسرحية تراجيدية، ومسرحية كوميدية واحدة. وإن كان ما حصر منها هو عشرون عنواناً فقط.

ومن الأسماء التى يجب التوقف أمامها طويلاً نسيباً كاليماخوس الكرىنى، وربما كان أشهر شخصية فى تاريخ مكتبة الاسكندرية، أشهر من ديمتريوس الفاليرى نفسه وذلك بسبب الفهرس العظيم الذى أعده لمقتنياتها؛ وتضعه المصادر كـ ثالث رئيس للمكتبة وإن كانت هناك مصادر أخرى تنكر ذلك وتنفيه ويعتبر كاليماخوس فى نظر الكثيرين هو «أبو الجيوجرافيا» وأعظم كنى فى عصره لقد كان باحثاً قديراً عالمياً. ولد كاليماخوس حوالى ٣٠٥ ق.م وتاريخ وفاته غير معروف على وجه الدقة ويحدده البعض بنحو سنة ٢٤٠ ق.م ومن ثم يكون قد عاش فى عهد بطليموس الثانى وردحا من الزمن فى عصر بطليموس الثالث الملقب يورجيتس وكانت إدارته للمكتبة بين ٢٦٠ - ٢٤٠ ق.م أى نحو عشرين عاماً. وسوف نعود إلى مجهوده الفذ فى إعداد فهرس المكتبة (بيناكيس) وتطفو على السطح أيضاً شخصية إراتومشتر الكرىنى التى ليس عليها أى خلاف فى الوصول إلى منصب مدير المكتبة وإن كان الخلاف حول الترتيب فقط هل جاء بعد زينودوتس أم كاليماخوس أو أبولونيوس الروديس؟ ومهما يكن من أمر هذا الترتيب فقد كان الرجل أهم وأمهز تلاميذ كاليماخوس وكان موسوعى المعرفة متعدد المواهب: هو عالم فى الرياضيات والجغرافيا والفلك والنحو والتاريخ والأنساب، واللغة والفلسفة بل وشاعر أيضاً. ويقال أنه مؤسس علم الفلك والجغرافيا الطبيعية. ولد سنة ٢٧٥ ق.م. ومن بين أساتذته كان أريستون، زينودوتس، كاليماخوس على الترتيب. يقول ألفرد كرواست عنه «بعد حياة حافلة فى أثينا دعاه بطليموس يورجيتس مرة ثانية إلى الاسكندرية وكان فى نحو سن الأربعين لإدارة مكتبة الاسكندرية الشهيرة بعد وفاة كاليماخوس» وتوفى الرجل فى سن الثمانين بسبب الامتناع عن الطعام وكان قد فقد بصره ومل حياته سنة ١٩٦ ق.م. وللرجل أعمال فكرية عديدة نثرها وشعرها. وليس هناك خلاف فى أنه مؤسس علم الحوليات وعلم الجغرافيا. ويمزى إليه قياس محيط الأرض وإذا كان فيثاغورس قد لقب



بالفيلسوف الأول فإن اراتوسثيتز قد لقب بعالم اللغة الأول. ويبالغ البعض ويعتبره أعظم باحث فى العصر البطلمى كله.

من الشخصيات الغدة أيضا فى مكتبة الاسكندرية أبولونيوس الكسندرى الذى عرف باسم أبولونيوس الروديسى، وأيا ما كانت نسبه فهو واحد من تلاميذ كاليماخوس. وربما كان على خلاف كل مديرى المكتبة الوحيد الذى كان مصريا ولأنه كان ضد النظام الطبقي الذى ساد المتحف والمكتبة فقد ارتحل إلى رودس حيث حقق شهرة واسعة وسعادة غامرة فى مدارسها الفكرية هناك؛ ثم عاد إلى الاسكندرية فى عهد بطليموس الثالث يورجيتس (٢٤٧ - ٢٢١ ق.م). وقد خلف كاليماخوس فى إدارة المكتبة بعد وفاته وكان للرجل انتاج فكرى غزير شعرا ونثرا وقد أثار غيرة وحسد الكثيرين من أقرانه فى المتحف ونشب بينه وبينهم نزاع طويل انتهى كما رأينا برحيله إلى رودس. ليس هناك خلاف حول توليه منصب المدير ولكن الخلاف كما هى العادة فى الترتيب فهناك من يسجل أنه جاء بعد كاليماخوس وهناك من يذكر أنه جاء بعد إراتوسثيتز إلا أن رأى عندى أنه جاء بعد كاليماخوس لأنه لو جاء بعد اراتوسثيتز لكان طاعنا فى السن حيث توفى اراتوسثيتز بين ١٩٦ - ١٩٣ ق.م. وقد دفن فى المقبرة التى تلى مقبرة كاليماخوس مما يؤكد تلك الحقيقة.

ويعتبر أريستوفانيس البيزنطى من العلامات المضيئة فى إدارة وتاريخ مكتبة الاسكندرية بل وفى كل العالم القديم. ولقد كان الرجل تلميذا لكل من كاليماخوس واراتوسثيتز. كما كان على الجانب الآخر استاذًا ومعلمًا لأرسطو خوس الذى خلفه فى إدارة المكتبة. وما يذكر عنه أنه قد عين مديرا للمكتبة وهو فى سن الستين من عمره وإذا كان الرجل قد ولد بين ٢٥٧ و ٢٥٠ ق.م وتوفى حوالى ١٨٠ ق.م فإنه بالتالى يكون قد تولى أمانة المكتبة لمدة تصل إلى خمسة عشر عاما. ومن المعروف أن أريستوفانيس جاء إلى الاسكندرية فى شبابه مع والده الجندى وبعد أن تعلم على يد أساتذتها العظام كرس حياته للدراسة علم اللغة وعين مديرا للمكتبة حوالى سنة ١٩٥ ق.م ويقال أنه رهد فى الوظيفة قبل وفاته بل ورهد فى الاسكندرية كلها ورحل إلى

سوريا في سن متأخرة. ويقال أن يومينس الثاني ملك بروجاموم في الفترة (١٩٧ - ١٥٩ ق.م) دعاه ليتولى رئاسة مكتبة بروجاموم الشهيرة. وكان أريستوفانيس من أخصب المؤلفين في مجال علم اللغة والأدب، وقد احتل فيهما مكانة مرموقة بين المتخصصين فيهما.

وقد خلف أريستوفانيس في إدارة المكتبة تلميذه أرسطارخوس الساموثي وإن كان هناك جدل حول هذه الخلافة لأن يردية أوكسيونفوس تضع بينهما شخصية أخرى هي شخصية أبوللونبوس «المصنف» أو الابدوجرافي في الفترة بين ١٨٠ - ١٦٠ ق.م وترشح أرسطارخوس بين ١٦٠ - ١٣١ ق.م ولو كان أرسطارخوس قد ولد حوالي ٢٢٠ ق.م حسب بعض المصادر فإن عمره عند تولي إدارة المكتبة يكون ستين عاماً وإن كان قد ولد بين ٢٠٢ - ٢٠٠ ق.م حسب مصادر أخرى فإن عمره آنذاك يكون أربعين عاماً. ونحن لا نعرف على وجه التحديد متى هرب من الاسكندرية وإن كان يظن أنه كان في حكم بطليموس يورجيتس الثاني الطاغية (١٤٥ - ١١٦ ق.م) الذي كان تلميذاً له. وإن كان يرجح أنه خرج مع تلميذه المعجوز يورجيتس الثاني عندما طرد من الاسكندرية ١٣١ - ١٣٠ ق.م واستقر في قبرص. ويقال أنه امتنع عن الطعام حتى الموت في تلك الجزيرة قبيل عودة يورجيتس إلى الاسكندرية. ومن الغريب أن بطليموس يورجيتس الثاني هذا كان يعمل رغم طفيلاته ووحشيته على دعم العلوم والفنون والآداب وتنمية مكتبة الاسكندرية بل ويقال أنه وضع بعض المؤلفات من بينها دراسة نقدية مطولة عن ملحمة الأوديسة في ٢٤ كتاباً، ومن بينها مؤلف منسقيض عن الآثار التاريخية. وفيما يذكر الدكتور كليل أن أرسطارخوس كان وراء التوسيع الكبير والاضافات القيمة التي قام بها بطليموس يورجيتس الثاني في مكتبة الاسكندرية. ومن المعترف به أنه في عهد هذا البطليموس السابع (يورجيتس الثاني فايسكون) استخدمت ثروات مصر في رشوة حكام روما حتى يخففوا الضغط على مصر وكانت النتيجة أن عانت المكتبة والمتحف معاناة شديدة فتقلص البحث العلمي وقل انتاج العلماء وبحث كثير منهم عن مكان آخر خارج مصر وتحول المتحف من أكاديمية للبحث العلمي إلى جامعة لتدريس العلوم وتعليمها وعندما دخلت مصر في حوزة الرومان، انتهى دور

البحث العلمى. وأبتداً أو استمر دور التدريس والتعليم فقط. وتذكر المصادر أن أرسطارخوس كان أهم وأشهر النقاد فى الاسكندرية بل كان أمير النقاد فى كل العصر الكلاسيكى ومازال نطقه لأعمال هوميروس يدرس ويدرس إلى اليوم. ومع نهاية عمله فى إدارة المكتبة يكون عصر المديرين العمالقة للمكتبة قد انتهى وجاء بعده عصر المديرين المغموين الذين لا نشك أنه كان من بينهم بعض الشخصيات التى دفعت المكتبة والمتحف قلما إلى الامام ولكن تعوزنا معلومات تفصيلية عنهم. إن مصدرنا الاساسى فيما بعد أرسطارخوس هى بردية أوكسيرنخوس وهى بردية عثر عليها بين ما عثر عليه الدكتور بيرنارد جرينفل والدكتور آرثر هنت من برديات قديمة وحديثة بالشعر والثر فى أطلال مدينة أوكسيرنخوس فى الصحراء الغربية المصرية على بعد ١٣٠ كيلو مترا من القاهرة وكان هذا الكشف سنة ١٩٠٣ / ١٩٠٤م وهذه البردية تدور حول مكتبة الاسكندرية هذه البردية تحمل رقم ١٢٤١ بين برديات هذه المجموعة من أوكسيرنخوس وتحمل هذه البردية ستة أعمدة من الكتابة المتصلة كتبت بخط أونسيال وترجع إلى النصف الاول من القرن الثانى بعد الميلاد فى عصر الابطرة الرومان الاول. ويتضمن هذا العمل مجموعة من القوائم من بينها:

أ - قائمة بالنحاتين والمثالين والرسامين والنحويين المشاهير.

ب - أمناء المكتبة فى الاسكندرية.

ج - الاشخاص الذين أشعلوا الحروب والذين اخترعوا آلات حرية وقتلوا قواعد الصراع.

ونحن لا نعرف من وضع تلك البردية أو أعد تلك القوائم، هل أعدها أحد الباحثين أم أحد طلاب العلم وهل كانت توضع فعلاً موضع الاستخدام الفعلى أم أنها كانت فقط للاستخدام الشخصى؟ إن قائمة أمناء مكتبة الاسكندرية تالفة جزئيا فى نهاية العمود الاول ولكنها فى حالة جيدة فى كل العمود الثانى والقائمة كلها تحتل عشرين سطراً ونصف السطر.

ومهما يكن من أمر فإنها تمدنا بمعلومات إضافية عن مديريين آخرين للمكتبة في نهاية العصر البطلمي وأوائل العصر الروماني مثل أونيساندر القبرصي وكايريمون السكندري (خيرمون في قراءات أخرى) وديونيسيوس ابن جلوكوس وكايوس يوليوس فاسينوس. ويمكن الرجوع إلى النص المنشور للبردية والذي توفر على تحريره ونشره بعناية فائقة الدكتور آرثر هنت ومساعدته اللامع البروفيسور ف. فون فيلاموفيتز - مولندورف؛ وحيث لم يدخر العالمان وسعاً في تحقيق هذه الوثيقة النادرة تحقيقاً علمياً متأنياً.

## الفصل الثالث

### مجموعات مكتبة الاسكندرية القديمة

المحنا فيما سبق إلى أن مكتبة الاسكندرية كانت مكتبة عالمية ومن ثم كان لابد لهذه العالمية من أن تنعكس على تكوين المجموعات وطبيعتها. وكان لثروة وسلطان وقوة البطلمة، كما كان لاسم الاسكندر فعل السحر أمام وكلائهم الذين جابوا الاركان الاربعة للعالم الهليني والبحر الابيض المتوسط والمدن الآسيوية بل وحتى المناطق الريفية بحثاً عن الكتب والوثائق من كل نوع وشكل. وكانت الكتب يتم الحصول عليها بأى شكل وبأى طريقة سواء كانت شريفة أو غير شريفة؛ بالشراء أو بالقوة. وعندما عرف أن هناك سوقاً رائجة للكتب فى الاسكندرية أسرع تجار الكتب من كل حذب وصوب إلى ملكة المدن المصرية لبيع أندر الكتب وأثمن الوثائق للبطلمة هناك.

ولقد جلبت كميات كبيرة من الكتب بصفة خاصة من أثينا ورودس مركزى النشر الكبيرين للكتب اليونانية فى ذلك الوقت. ومن المؤكد أن المدن اليونانية الكبرى فى آسيا الصغرى وفى بلاد الشام كانت هى الأخرى أماكن محتملة لتوريد الكتب إلى الاسكندرية ومن جهة أخرى كانت المكتبات الشخصية مجالاً خصباً لتغذية مكتبة الاسكندرية بمجموعات كبيرة والمثال هنا يأتى من مكتبة أرسطو ومكتبة ثيوفراستوس، اللتين باعهما نيلوس تلميذ وقريب ووريث ثيوفراستوس بثمان ضخم إلى أبليكون ثم إلى مكتبة الاسكندرية.

ومن طرق الحصول على الكتب تفتيش حمولات السفن التى كانت ترسو فى ميناء الإسكندرية ومصادرة أية كتب توجد على متنها وتستنسخ منها نسخ فقط تعطى لأصحابها ويحتفظ بالأصول فى المكتبة مع أية تعويضات تطلب إذا كانت هناك أية مشاكل فى هذا الإجراء. ومن الطريف أنه فى السنوات الاولى للمكتبة كانت المجموعات المصادرة من السفن تعزل فى مكان خاص ويؤشر عليها بعبارة (كتب السفن) ولا نعزف الدلالة الحقيقية لتلك التأشير.

وهناك قصة مشهورة أشار إليها جالينوس عن كيفية حصول بطليموس الثالث (يورجيتس) على النسخ الأصلية والنسخ التي بخط مؤلفيها من أعمال أسخيلوس، سوفوكليس، يوريبيدس من داخل أثينا حيث ذهب صيادو الكتب ودفعوا رهناً مقابل الحصول على تلك النسخ الأصلية وذلك لاستنساخها ولكنهم أعادوا النسخ الجديدة واحتفظوا بالأصول وتنازلوا عن الرهن.

ومن خلال هذه الطرق تجمع عدد ضخم من الكتب لا بد وأنه شمل كل الإنتاج الفكري اليوناني المكتوب شعراً أو نثراً. وربما نتوقف هنا يرهة لنقول بأن المكتبة الرئيسية في حي البروكيوم ربما تكون قد ضاقت بما تجمع فيها من كتب فاستدعى الأمر إنشاء مكتبة فرعية لها في معبد سيرابيس أو السيرابيوم في حي راقودة (راكوديس). ومن هناك دأب الكتّاب والمؤرخون على الإشارة إلى المكتبة الرئيسية في الحى الملكي باسم المكتبة الكبرى أو المكتبة الأم وإلى المكتبة الفرعية في السيرابيوم على أنها المكتبة الصغرى أو المكتبة الابنة.

والحقيقة أنه ليست لدينا أرقام محددة أو دقيقة عن حجم المجموعات أو عدد الكتب التي كانت موجودة في المكتبتين؛ ولا ينبغي أن يكون لدينا مثل هذه الأرقام المحددة أو الدقيقة إلا إذا ارتبطت بتاريخ معين. فإذا وضعنا تلك الحقيقة نصب أعيننا فإننا يجب أن نقبل الأرقام التي نَجدها على علائها ونحللها على ضوء مصدرها. لقد أعطى الكتّاب الإغريق واللاتين أرقاماً مختلفة عن عدد الكتب (اللفافات) التي كانت مقتناة في المكتبة؛ ويجب أن نعرف أن اللفافة الواحدة تمثل مجلداً في زماننا وأن العمل

الواحد قد يقع في عدة لفافات كما أن اللفافة الواحدة قد تنطوي على عدد من الأعمال سواء كانت أعمالاً شعرية أو أعمالاً نثرية.

\* لقد بدأ ديمتريوس الفاليري (٣٥٤ - ٢/٢٨٣ ق.م) الذي جاء إلى الإسكندرية بعد سنة ٣٠٧ ق.م كما رأينا مهمة جمع الكتب في ظل بطليموس الأول سوتر. وقد ذكر جوزيفوس (يوسف) المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي أن ديمتريوس الفاليري

جمع ٢٠٠,٠٠٠ لفافة وكان سند جوزيفوس فى هذا الشأن رسالة أوستياس وربما كان جمع هذا العدد قد تم دون فرز ودون ترتيب وتركزت هذه المهمة لأمناء المكتبة فى عهد بطليموس فيلادلفوس ومن بعده. من جهة ثانية أمدتنا حاشية تزيتريس على أرسطوفانيس التى كتبت على هامش مخطوط بلوتوس من القرن الخامس عشر والذى عثر عليه سنة ١٨١٩ فى الكلية الرومانية الباحث أوسان، أمدتنا هذه الحاشية بالأرقام الآتية عن عدد اللفافات فى كل من المكتبتين:

✱ فى المكتبة الرئيسية بالمتحف فى حى البروكيوم ٤٠٠,٠٠٠ لفافة غير مصنفة (التي أطلق عليها المكتبة الداخلية)

✱ فى المكتبة الخارجية التى فى حى راقودة

المصرى فى معبد السيرايوم. ٤٢,٨٠٠ لفافة مرتبة ومصنفة

وهذه الأرقام تدل على ما كانت عليه المجموعات فى زمن كاليماخوس الذى توفى فى سنة ما بين ٢٣٥ و ٢٤٠ ق.م.

وفى القرن الثانى الميلادى كتب أولوس جيلوس عن مجموعات المكتبة خلال الكتاب أو العمل الذى كتبه لأطفاله «ليالى أثينا» - يقول:

«كمية ضخمة من الكتب تصل إلى حوالى ٧٠٠,٠٠٠ مجلد تم شراؤها أو نسخها فى مصر تحت حكم الملوك المعروفين باسم البطالمة».

كذلك كتب إيمانوس مارسيلينوس سنة ٣٩٠م عن المجموعات يقول: «لقد كان هنا فى هذا السيرايوم مكتبات ثمينة وقد وقفت على مصادر قديمة مجهولة المؤلف تقول

بأنه تجمع فيها ٧٠٠,٠٠٠ مجلد توفر على جمعها الملوك البطالمة». وقد جاءت هذه المعلومات فى كتابه «التاريخ الرومانى» الذى يعتبر تكملة أو تكملة لتاريخ تاكلتوس.

وفى مطلع القرن الخامس كتب باولوس أروسيوس يقول بأنه كان فى مكتبة السيرايوم نحو أربعين ألف لفافة. ويؤكد سينيكا (٤ - ٦٥م) على وجود أيضاً نفس هذا الرقم.

هذه الأرقام المختلفة تشير إلى أن أقصى رقم وصلت إليه المجموعة هو ٧٠٠,٠٠٠ مجلد وذلك حتى القرن الأول قبل الميلاد أى قبل الحريق الجزئى الذى عساه يكون قد وقع مع ضرب يوليوس قيصر للإسكندرية. ومن أسف أنه ليست لدينا أرقام مؤكدة بعد القرن الأول قبل الميلاد بعد ذلك الحادث وبعد تعويض كليوباترا كما قيل بمكتبة برجاموم بعد سقوطها فى يد أنطونيوس سنة ٤١ ق.م. والتى قدرت بنحو ٢٠٠,٠٠٠ لفافة من رقوق ويردى تلك المكتبة التى كانت فخراً للملوك الاتاليين. كذلك فإن من الصعب معرفة الاتجاهات الموضوعية لمقتنيات المكتبة حيث لم يصلنا حتى الفهرس الذى وضعه كاليماخوس للمجموعات.

يقول إدوارد ألكسندر بارسونز أنه من المؤكد بعد الدفعة القوية والبداية العظيمة التى ابتناها ديمتريوس الفاليري فى جمع الكتب للمكتبة فى فترة قدرت بعشر سنوات، قام المديرون المتعاقبون على المكتبة كل حسب طاقته ومترلته بجمع المزيد من الكتب بأعداد ونوعيات مختلفة؛ وأن هذا التيار المتدفق من التزويد عبر قرنين ونصف من الزمان انصهرت بين ديمتريوس الفاليري وكليوباترا والذى بدأ كما رأينا بماتى ألف كتاب، وانتهى بماتى ألف أخرى من مكتبة برجاموم أضيفت إلى المكتبة الإسكندرية، هذا التيار لا بد وأن يكون قد ارتفع بمجموعات مكتبة الإسكندرية إلى نحو مليون لفافة.

إن المرء ليدهش حقيقة من هذا العدد الضخم من الكتب حتى ولو انطوى على نسخ مكررة أو وقع العمل الواحد فى عدة مجلدات. إننا نستطيع أن نركب الموضوعات التى عالجها هذا الإنتاج التراكم على الأقل بالنسبة للكتب اليونانية على أساس أن جميع الكتب اليونانية فى الحقبة الكلاسيكية قد تم جمعها ابتداءً من هوميروس وحتى



ديموشيتز وأرسطو والمؤلفين السكندريين والمؤلفين الأجانب الذى كتبوا باليونانية أو ترجمت أعمالهم إلى اليونانية. كما أننا يجب أن نضيف إلى ذلك الحوامشى والتعليقات وكتب الكتب. لقد كان هناك الشعر الذى أبدعه شعراء الحقبة الممتدة واتباعهم من أمثال فيليتاس، كاليماخوس، لايكوفرون، أبولينيوس، إيفوريان، ثيوقريطس، بيون، موسخوس. وكان هناك النثر الذى أبدعه الكتاب والدارسون من أمثال ديمتريوس، زينودوتس، الكسندر الآيتولى، أريستوفانيس البيزنطى، أرسطارخوس. وكانت هناك الكتابات العلمية والاختراعات والاكتشافات التى أبدعها العلماء من أمثال إراتوستيتز، إقليدس، أرشميدس، كوفون، هيرارخوس النيقى الذى أضاف إلى الفكر اليونانى مالم يصفه أحد طوال الفترة الكلاسيكية. لقد كانت هناك أيضاً الكتابات اللغوية والدراسات الفيلولوجية والنحوية التى أبدعها علماء اللغة والنقد. لقد جاء جانب كبير من الإنتاج من مراكز النشر المختلفة خارج مصر أنتجتها المناسخ فى أثينا، رودس، قرص، أنطاكية، برجاموم، طرطوس، نيقيا، بيزنطة، سراقوسة، كوماى، بيللا وغيرها كثير. ولا ينبغى أن نغفل إلى جانب الكتاب والمؤلفين المحدثين أولئك المؤلفين اليونانيين القدماء.

وإذا كانت مكتبة الإسكندرية القديمة قد حرصت على جمع كل أو جل الإنتاج الفكرى اليونانى قديمه وحديثه فإنها بالضرورة قد تطلعت أيضاً إلى جمع ما يمكن جمعه من كتب الأمم الأخرى بلغاتها أو خطوطها مثل كتب اليهود وكتب المصريين، وكتب البابليين والآشوريين وكتب الفرس، وهذا يتمشى بطبيعة الحال ولا يتنافر أبداً مع التركيبة السكانية لمدينة الإسكندرية التى جمعت كل الجنسيات وكل اللغات وكل الخطوط البشرية.

لقد ورث الإغريق حضارتين عظيمتين فى الشرق القديم هما الحضارة الآشورية امتداد الحضارة البابلية والتى سبقت الحضارة الفارسية والحضارة المصرية؛ ومن ثم سعى الإغريق إلى محاولة معرفة لغة وتاريخ وثقافة مصر وآشور ويؤكد السير فلندريترى ماذهب إليه سابقاً من أن مكتبة الإسكندرية القديمة اشتملت على ترجمات

يونانية لكثير من الكتب باللغات الأخرى كاللغة المصرية القديمة، واللغة العبرية واللغة الفارسية واللغة البونية وغيرها.

ومن الثابت تاريخياً أنه عاش في الإسكندرية رهط كبير من اليهود وكان لهم كما أسلفنا حتى خاص بهم وكانوا يشعرون بالتميز دون سائر البشر لأنهم شعب الله المختار وكانت لهم شريعتهم ودينهم وكتبهم المقدسة التي وجدت طريقها إلى المكتبة سواء عن طريق الترجمة إلى اليونانية أو عن طريق النص الأصلي.

ولقد ورد خبر تلك الكتب اليهودية في وثيقة عرفت باسم «رسالة أرستياس» الذي كان موظفاً رسمياً في بلاط بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م). وتشير هذه الوثيقة إلى خبر ترجمة أسفار اليهود إلى اليونانية حسب طلب ديمتريوس الفاليري أمين المكتبة الملكية وقد عرفت تلك الترجمة بالترجمة السبعينية، والتي اشتهرت فيما بعد بالمعهد القديم اليوناني. وسميت بالترجمة السبعينية لاشتراك اثنين وسبعين مترجماً في عملها. وهذه القصة جاءت على شكل رسالة بعث بها أرستياس إلى أخيه فيلوكراتيس. ويزعم أرستياس أنه كان عضواً في البعثة التي أرسلت من الإسكندرية إلى أورشليم القدس لجلب نسخة من شريعة اليهود (المعهد القديم) والاتفاق مع عدد من المترجمين الفلسطينيين.

وعندما كتب ديمتريوس الفاليري إلى بطليموس يخبره بالتقدم العظيم الذي حققه في جمع الكتب للمكتبة ذكره بأن هناك عدداً كبيراً من كتب الشريعة اليهودية تستحق أن تجمع وتقتنى في المكتبة إلا أنها مكتوبة بالخط العبري غير المقروء بالنسبة لليونان وأن هذه الكتب اليهودية مليئة بالحكمة المخفية وليس عليها أي غبار لأنها شريعة الله ولا يدرى السبب الذي من أجله كما يقول هيكتاتيرس الأباديري أغفل الشعراء والمؤرخون ذكرها وذكر أحبار اليهود الذين يحملون هذه الشريعة رغم أنها شريعة مقدسة ولا ينبغي للأقواء الدنسة أن ترددها.

ولطرافة هذه الرسالة فسوف أقتبس منها النص الآتي حسب كلام أرستياس نفسه.

[ولقد أخبرت أنا (ديمتريوس) أن لليهود أيضاً شرائع خاصة بهم تستحق النسخ

والاقتناء فى المكتبة» فرد الملك «وما الذى يمنع من القيام بذلك إذن؟ إن كل الرسائل الضرورية لتلك موجودة فى خدمتك. ورد ديمتريوس بأن الترجمة مطلوبة أيضاً لأنهم فى بلاد اليهود يستخدمون خطاً خاصاً بهم (كما هو الحال بالنسبة للمصريين الذين لهم حروفهم) كما أنهم يتكلمون لغة خاصة. إنه يظن على العموم أنهم يستخدمون اللغة السورانية ولكن هذا خطأ، إنها لهجة مختلفة». وعندما علم الملك كل الحقائق، أصدر أمره بكتابة خطاب إلى كبير أعيان اليهود حتى ينفذ الاقتراح السابق[١].

ويقال أن الملك أمر بتحرير الأسرى والعبيد اليهود فى مصر، كما أمر ديمتريوس بأن يكتب تقريراً عن أوضاع المكتبة. وقد وضع ديمتريوس التقرير التالى بناء على أوامر الملك:

[١] إلى الملك العظيم من ديمتريوس. إطاعة لأوامر جلالتيكم أيها الملك بإضافة الكتب المطلوبة إلى مجموعات المكتبة وترميم تلك الكتب التالفة وإصلاحها، لقد بذلت أقصى العناية فى سبيل ذلك وتم المطلوب فعلاً. إننا نحتاج إلى كتب الشريعة اليهودية وقليل غيرها وهى مكتوبة بالحروف العبرية وباللسان العبرى وهى مترجمة ترجمة مهمة إلى حد ما بحيث لا تمثل النص الأصلى وذلك طبقاً للمعلومات التى قدمها لى الخبير لأن تلك الترجمات لم تتم أبداً تحت رعاية الملك. ومن المهم أيضاً أن تفتنى تلك الكتب فى حالة جيدة بالمكتبة لأن هذه الشرائع لكونها مقدسة مليئة بالحكمة وغالية من الأخطاء. ولهذا السبب أمسك المؤلفون والشعراء وجميع المؤرخين عن ذكر تلك الكتب والرجال الذين يؤمنون بها لأن الآراء الموجودة فيها لها طهارة وقلبية من نوع خاص فيما يقول هيكاتيوس الأباديرى. فإذا كان ذلك بالأمر الطيب أيها الملك فإن من الممكن كتابة خطاب إلى كبير الأعيان فى اورشليم القدس نسأله فيه أن يرسل ستة أشخاص كبار من كل سبط، رجالاً من أعلى مستوى متفهمين فى شريعة بلدهم ليلتصوا على الأجزاء الأكثر أهمية فى تلك الكتب ومن ثم نحصل على ترجمة دقيقة نتخذ مكانها السامى، وبطريقة تنفيذ تتفق مع الإرادة السنية. ولنا النجاح والتوفيق[٢].

وقد كتب الملك بطليموس خطاباً إلى كبير الاحبار إليعازار يقول فيه «إننا نريد أن نصنع معروفاً ليس فقط في اليهود الموجودين في الجيش والبلاط ولكن أيضاً لكل يهود العالم وللأجيال المقبلة، ولذلك فقد انصرفت إرادتنا إلى ترجمة شريعتكم من اللسان العبري المستخدم لديكم إلى اللغة اليونانية، وكذلك أن توضع هذه الكتابات في مكتبتنا مع المجلدات الملكية الأخرى».

وقد رد إليعازار بالإيجاب قائلاً «لقد اخترنا ستة رجال كبار من كل سبط، رجال طيبين وصادقين وقد أرسلنا معهم نسخة من الشريعة».

ونجد في الرسالة أسماء المترجمين ووصفاً للهدايا الملكية وتقريفاً عن رحلة البعثة اليونانية إلى يهوذا ووصف حى شاهد عيان لمدينة أورشليم ووصف إليعازار المكتوب للشريعة اليهودية، ووصف لاستقبال المترجمين في مدينة الإسكندرية وإقامتهم والأسئلة التي وجهها الملك إليهم والإجابات التي تلقاها منهم. وبعد ثلاثة أيام اصطحب ديثريوس المترجمين إلى بيت مخصوص أعد لهم في جزيرة فاروس. وقد انتهت أعمال الترجمة في اثنين وسبعين يوماً وبإله من اتفاق في عدد المترجمين وعدد الأيام.

إلى جانب ترجمة العهد القديم إلى اليونانية ووضع الترجمة والأصول في المكتبة، تمت ترجمة العديد من الكتب المصرية القديمة إلى اليونانية ووضعت الترجمات والأصول في المكتبة وعلى رأسها أعمال مانيتو وقبل أعمال مانيتو ترجم تقويم سايس إلى اليونانية. كما كتب المؤلفون اليونانيون في فترات مختلفة عن العجائب المصرية والأسرار الفرعونية ولكن للأسف لم تصلنا تلك الأعمال. لقد عاش مانيتو الكاهن المصري في زمن كل من بطليموس الأول سوتر (٣٢٣ - ٢٨٣ ق.م) وولده بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م). وهذا الكاهن الأعظم كاتبها للأسرار المقدمة المصرية ولد في سينتوس واتخذ هيليوبوليس مقراً له. وكان مانيتو فيما يبدو مستشاراً لبطليموس سوتر وله علاقة وطيدة بالمستشار الروحي للملك تيموثيوس وكان لهما اليد الطولى في إرساء عبادة سيرابيس التي اجتمع عليها المصريون واليونانيون معاً.

لقد كان مانيتو كاهناً على درجة عالية من الثقافة والفكر ورجل أدب من الطراز الأول وكتب كثيراً من الكتب باليونانية حول التاريخ والدين المصرى ومن ثم نقل إلى اليونانيين كثيراً من المعلومات المقدسة والحوليات التاريخية للقدماء المصريين التى كتبت بالكتابة الهيروغليفية. ولقد كان الرجل مؤهلاً كل التأهيل لينقل العلوم المصرية إلى اللغة اليونانية فقد تعلم فى جامعة هيليوپوليس، العلوم التى كانت ترعاها الإلهة سيشات (حتحور) سيدة الفكر وسيدة المكتبات والتى كتبت بخط يدها أعمال وإنجازات حكام مصر. وقام الرجل بنقل ما أمكن نقله من العلوم المكتوبة بالهيروغليفية إلى اليونانية والتى يعتقد أنها كانت مكتوبة بخط يد حتحور. ولقد كانت درجة الثقة فيما كتب مانيتو أعلى بكثير من درجة الثقة فيما كتبه هيرودوت. لقد وقعنا على نص مكتوب على ورق الشجر بخط يد حتحور ونحوت وآثوم عن الشجرة المقدسة. وقد توفر مانيتو على نقل هذه الشجرة المقدسة إلى اليونانية كاحسن ما يكون النقل، ويعتقد أن تسمية مانيتو تعنى «محبوب نحوت» أو «لسان صدق نحوت». ولم يكف مانيتو بنقل كتابات حتحور فقط بل نقل أيضاً الكثير من المصادر التى تمكن من الوصول إليها فى مكتبات القصور الفرعونية، مكتبات المعابد كما لكل الكتب المقدسة المصرية، كتاب الموتى، الوصفات الطبية للأحياء، حوليات الملوك المصريين التى دأب الكهنة على الاحتفاظ بها عبر الأجيال كما نقل الوثائق الاقتصادية الخاصة بالمعابد والإقطاعيات، كما نقل قسطاً كبيراً من القبط الأدبية الثرية والشعرية على السواء. لقد بقى إلى زمن مانيتو الآلاف من البرديات والمسلات والأثار التى تحمل كتابات دينية وتاريخية وأدبية وعلمية خاصة بالآلهة والبشر والاموات والحكام مكتوبة بالكتابات المصرية القديمة (هيروغليفية، هيراطيقية، ديموطيقية) ترجم منها مانيتو ما استطاع ترجمته إلى اليونانية، واسطر الباقى بلفته وكتابته المصرية فى مكتبة الإسكندرية. ومن بين ما ترجم نستطيع أن نميز:

١ - قائمة أبيدوس الملكية. وتضم معلومات عن ٦٧ ملكاً (وكانت مكتوبة على جدار المعبد فى معبد سيتى الأول فى أبيدوس وتبدأ من مانيس حتى سيتى الأول).

٢ - قائمة الكرنك الملكية. وتضم معلومات عن ٦١ ملكاً (من مانيس وحتى تحتمس الثالث). وهى موجودة الآن فى متحف اللوفر.

٣ - قائمة سقارة الملكية. وتضم معلومات عن ٥٨ ملكاً ولكن جزءاً منها كسر ولم يتبق سوى معلومات عن ٤٧ ملكاً (من ميبس الأسرة الأولى). وهى موجودة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة.

٤ - بردية تورينو. وهى مكتوبة بالخط الهيراطيقى على ظهر وثيقة قديمة ترجع إلى عصر رمسيس الثانى (حوالى ١٢٠٠ ق.م). وبيانات عن الملك الخاصة به على الوجه. أما الوثيقة التى نحن بصددھا (الظهر) فإنھا تضم أسماء الملوك متتابعين والتى تربو على ثلاثمائة مع ذكر سنوات حكم كل منهم بالسنين والشهور والأيام وللأسف لم تنشر هذه البردية نشرًا سليمًا دقيقًا كاملاً حتى الآن. وهذه البردية موجودة الآن فى متحف تورينو.

٥ - حجر باليرمو. ويحمل قائمة بالملوك العظام فى الملكة القديمة بدءاً من الأسرة الخامسة.

وإذا كان مانيتو قد نقل هذه الأعمال وغيرها من كتابات غيره فإن المصادر قد سجلت أنه كتب باليونانية أعمالاً من تأليفه من بينها:

١ - تاريخ مصر.

٢ - كتاب سوثيز.

٣ - الكتاب المقدس.

٤ - ملخص قوانين الطبيعة.

٥ - من الاحضالات.

٦ - من الشماير والديانات القديمة.

٧ - حول صناعة الكايفي (نوع من البخور).

٨ - نقد هيرودوت.

ومن أسف أنه لم يصلنا أى عمل من أعمال مانيو المترجمة أو المؤلف؛ وكل ما وصلنا مجرد مقتطفات عبر مقتطفات فى أعمال أخرى نقلت من الأصول على نحو ما نلجده فى كتابات جوزيفوس اليهودى (نحو ٣٧ - ١٠٠م) الذى كان يكتب تاريخ اليهود حتى ذلك الوقت. وقد قام أحد المؤلفين بتلخيص ملخصه عن قوانين الطبيعة ولكنه هو الآخر فقد بقيت منه مقتطفات فى كتب بعض الكتاب المسيحيين. وقد اعتمد سكتوس جوليانوس أفريكانوس (الإفريقى) فى كتابة حولياته منذ بدء الخليفة من سنة ٥٤٩٩ وحتى لإللاجابالوس سنة ٢١٧ أو ٢٢١م والتي بلغت خمسة كتب، اعتمد على حوليات مانيو ولكن حتى حوليات أفريكانوس نفسها فقدت ولم يصلنا منها سوى مقتطفات فى كتابات بعض الكتاب المتأخرين فى العصرين الهلنئى والرومانى وفى القرن الثامن قام جورج الراهب بنقل بعض المقتطفات التى نقلها سينيلىوس سيدرينوس من مانيو، وكان عمل جورج الراهب بعنوان تاريخ العالم (منذ آدم حتى الامبراطور ديوقليتيان). ومن الثابت أيضاً أن من بين من اقتطفوا من مانيو ولكن على نطاق ضيق كل من: بلوتارخ، ثيوفيلوس، أبليان، فورفوريوس، ديوجينيس لايرتيوس، ثيودوريس، لايدوس، مالاكس، حواش أفلاطون، وغيرهم؛ ومن الطريف أننا من هذه المقتطفات نستطيع أن نخرج بكتب كاملة من أعمال مانيو (ومن المعروف أن مانيو عاش عهد بطليموس الثانى فيلادلفوس وكان محوراً لبحوث ودراسات العديد من المؤلفين فى عصرنا).

ونريد أن نؤكد للمرة الثانية أن كثيراً جداً من الكتب المصرية جمعت من مظانها المختلفة لتستقر كما هى فى مكتبة الإسكندرية القديمة ولعل هذا هو سر عدم عثورها على مقتنيات المكتبات المصرية القديمة قبل مكتبة الإسكندرية وهى كثيرة جداً. رغم عثورها على مبانها بل وبمصر فهارسها.

وكما حرصت مكتبة الإسكندرية القديمة على اقتناء الكتب المصرية القديمة سواء فى أصولها أو ترجماتها فقد حرصت أيضاً على اقتناء الكتب البابلية والآشورية والفارسية.

وكما فعل مانيو قام ميناندر الفينيقي بكتابة تاريخ الفينيقيين وقام يروسوس كاهن بعل - ماردوك البابلي بكتابة تاريخ بابل - ونحن لا نعرف إلا القليل عن حياة يروسوس، فقد كان كاهنا بابلياً من قالدنيا وكان ذا تعليم راق وعاصر الإسكندر الأكبر وعاش في عهد أنطيوخوس الأول (٢٨٠ - ٢٦١ ق.م) وقد أهدى له كتابه عن تاريخ بابل، وكان عالماً بالفلك ويقال أنه أسس مدرسة للفلك في قرص ودرس في أثينا، كما يقال أنه صنع له هناك تمثال لسانه من ذهب - وكانت له نظريات جديدة في البصريات لعكس أشعة الشمس والقمر وقد وصفه البعض بأنه أكثر المؤرخين في غربى آسيا علماً وقد انتشرت أعماله الفكرية في بلاد اليونان وبلاد الرومان. ويقدر المؤرخون أن يروسوس عاش ما بين ٢٥٦ و ٢٦١ ق.م.

والى جانب تاريخ بابل قام يروسوس بكتابة العديد من الكتب باليونانية من بينها عمل مستفيض عن تاريخ بلاد ما بين النهرين في ثلاثة مجلدات: الأول منذ بدء الخلق حتى الطوفان والثانى من الطوفان حتى نبوخذ نصر والثالث من نبوخذ نصر حتى الإسكندر الأكبر وأنطيوخوس الأول. لقد رسم الرجل في كتابه صورة للحياة البدائية استقاها من الكتابات التى وجدها على معبد بعل في بابل جاء فيها دراسة طيبة عن حيوانات ما قبل التاريخ كما درس ألواح الطين وما عليها من كتابات مسمارية حول الملوك الغابرين فى المنطقة. ولكن للأسف الشديد لم يصلنا هذا العمل العظيم وكل ما وصلنا كما هو الحال فى أعمال مانيو مجرد مقتطفات فى أعمال تلاميذه والكتّاب الذين تعاقبوا بعده ومن بين من نقلوا عنه تلميذه أيدينوس الذى وضع كتاباً عن تاريخ آشور، وكذلك أبولودورس والكنندر الملقب بأبى التاريخ - بوليستور). وبعض مقتطفات من هذه المقتطفات نجدها عند نيقولاس الدمشقي صديق هيرود، ونجدها عند جوزيفوس المؤرخ اليهودي وأثيناوس وجوليوس أفريكانوس ويوسيوس وجورج سينسيلوس.

لقد وجدت الكتب التى كتبت فى قالدنيا، بابل، ميديا، بلاد الفرس طريقها بالضرورة إلى مكتبة الإسكندرية. يقول إدوارد بارسونز إنه من الصدف العجيبة أن يكتب يروسوس كاهن بعل - ماردوك تاريخ قالدنيا فى ثلاثة كتب، ويكتب مانيو



الكاهن المصرى فى الإسكندرية تاريخ مصر فى ثلاثة كتب ويهدى الأول مجلداته إلى أنطيوخوس الأول الحاكم اليونانى فى غربى آسيا، ويهدى الثانى مجلداته إلى بطليموس الثانى الحاكم اليونانى فى مصر.

لقد وجد كتاب آخرون كثيرون غير يونانيين أقل مرتبة من ماتيتو المصرى ويروسوس البابلى، استقرت أعمالهم فى مكتبة الإسكندرية وإن لم يصلنا منها شيء سوى مقتطفات ومقتطفات المقتطفات. من بين هؤلاء المؤلفين نذكر:

١ - ميناندر الصورى، الإفسوسى وديما البرجامى. صاحب كتاب تاريخ صور أو تاريخ فينيقيا أو قلاع اليونانيين والبرابرة فى عهد ملوك صور.

٢ - ديوس. صاحب كتاب تاريخ فينيقيا الذى نقل عنه جوريفوس المؤرخ اليهودى مقتطفات كثيرة وطويلة تملق بسليمان وحيرام.

٣ - هيسكريتس. صاحب كتاب تقرير فينيقيا وقد كتب بالفينيقية وترجمة أسيئوس أو لايتوس.

٤ - ثيودوتوس. صاحب عمل مستفيض عن تاريخ فينيقيا ترجم كذلك إلى اليونانية.

٥ - فيلوستراتوس. كتب عن تاريخ فينيقيا وعن تاريخ الهند كما كتب عن حصار صور.

٦ - هيرونيوموس من كانديا فى عهد انتيجونوس وهو أحد المؤرخين الفينيقيين الملعودين. كتب أيضًا عن تاريخ فينيقيا.

٧ - موخوس. مؤرخ فينى ورد ذكره كثيرًا فى كتب أثيناىوس، ربما كان من صيدا. يعزو إليه استرابون النظرية الذرية.

٨ - سانخونياتون. مؤلف فينى مجهول ربما كان مسئولاً عن الكتب المقدسة الفينيقية. كما سجل الأساطير الفينيقية وكلها ترجمت إلى اليونانية وإن لم يصلنا منها شيء سوى مقتطفات.

٩ - فيلو من بيلوس. كتب فى الأساطير والديانات الفينيقية ونقل كثيرًا عن

سانخونياثون. ولم يصلنا من إنتاجه سوى مقتطفات.

ومن الهند أيضاً جاءت كتب وأعمال كثيرة مترجمة وأصلية إلى مكتبة الإسكندرية تلك القاهرة التي غزاها الاسكندر بعد أن دمر الامبراطورية الفارسية ووضع حداً للممالك المتشرذمة هنا وكانت مهية للدخول فى الامبراطورية الجديدة عندما توفي الاسكندر. ولكن قفز إلى الحكم واحد من أبنائها هو شاندراجوتا الذى كان معجباً بالاسكندر وعنده ضمن ما عبد من آلهة هندية، وقد خلف شاندراجوتا ابنه بندوسارا الذى أنجب الحاكم العظيم (أسوكا) الذى يمثل الجيل الثالث فى تلك الأسرة الحاكمة هناك. هؤلاء الحكام الهنود الثلاثة: شاندراجوتا - بندوسارا - أسوكا - كانت لهم صلات وثيقة وعلاقات طيبة مع خلفاء الاسكندر المقدونيين، والعالم الهللىنى. وقد أرسل سلوقس سفيره ميخاسيثيز إلى بلاط شاندراجوتا فى مهمة أو بعثة محلدة هى جمع كل الإنتاج الفكرى الذى أبدعه الهنود القدماء فى جميع فروع المعرفة البشرية. وإلى بلاط بندوسارا أرسل السفير ديماخوس من بلاتيا. ولم يتردد البطالمة فى إرسال البعوث هم أيضاً إلى الهند كما فعل السلوقيون فى سوريا فأرسل بطليموس الثانى سفيره ديونيسيوس إلى البلاد الهندى لجمع الكتب الهندية لمكتبة الإسكندرية.

لقد قام أسوكا بإرسال بعوث هندية كثيرة إلى البلاطات الهللىنية ومنها بطبيعة الحال بلاط البطالمة فى مصر حيث شوهدت هذه البعثات فى شوارع الإسكندرية وفى المدن المصرية المختلفة ومن المؤكد أن تلك البعثات قد حملت معها كتباً هندية كثيرة ولكن للأسف ضاعت كلها مع ضياع سائر مقتنيات المكتبة. لقد ظل تيار العلاقات الثقافية المصرية الهندية متدفقاً يجلب معه بصفة مستمرة الكتب الهندية إلى مكتبة الإسكندرية.

إننى أختتم هذه المعالجة لمجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة بسؤال جمور ليست له إجابة وهو هل تعرف ما كانت عليه مجموعات مكتبة الاسكندرية وماذا كانت الكتب الموجودة بين جنباتها؟ لقد كانت فى ظنى جميع الكتابات التى كتبها اليونانيون منذ هوميروس مروراً بالحقبة الهللىنية والتقويم الوثنى كله وما بعده حتى القرن السابع الميلادى، كما كانت جل الكتابات غير الإغريقية التى تجمعت من مصر وفينيقيا والهند

وروما وغربى أوروبا؛ جمعت جميعاً باللغة التى أجادها المقدونيون وأعنى بها لغة القوة.

لم تكن مكتبة الإسكندرية فقط أكبر وأعظم وأهم مجموعة كتب يونانية تجمعت على مدار التاريخ، ولكنها أيضاً فى أرمى عصورها كانت أعظم وأكبر مكتبة عرفها العالم والتاريخ حتى القرن الثامن عشر الميلادى.

وأجد لزماً علىّ فى هذه الحاشية أن أقدم هنا حاشية تريتيزس على الأقل فى صيغة واحدة من صيغها حيث أنها النص الوحيد الذى نعتمد عليه فى تقدير حجم مجموعات مكتبة الإسكندرية والذى نقل عن نص معاصر للمكتبة لم يصلنا.

لقد اكتشف هذا النص باحث يعرف باسم ف. أوسان فى مكتبة الكلية الرومانية القديمة فى كتاب من رق يرجع إلى القرن الخامس عشر من تأليف بلوتوس يتضمن خمس عشرة مسرحية وكان ذلك الكشف فى سنة ١٨١٩م. لقد وجد هذا الباحث حاشية فى ورقة بين مسرحيتين. وقد وقعت هذه الحاشية باسم كايكيوس، وهذه الحاشية تتعلق بمكتبة الإسكندرية. وقد قدم كايكيوس هذه الحاشية إلى ماينكه الذى قام بنشرها وقد بلغ عدد سطورها فى المخطوط ١٣ سطراً وفى المطبوع خمسة عشر سطراً. وكان أول نشر لها سنة ١٨٣٠م وقد قام و. وندورف بتحقيق اسم كايكيوس وقال بأن اسمه الحقيقى هو جوهان تريتيزس وهو باحث بيزنطى من القرن الثانى عشر. وقام ف. ريتشل سنة ١٨٣٨ بنشر النص اللاتينى ثم مرة أخرى مع تعليقات سنة ١٨٦٦م.

ويسير النص مترجماً إلى العربية على النحو الآتى:

[قام ألكسندر من آيتوليا ولايكوفرون من كالكيس وزينودوتس من أفيسوس بناء على طلب من الملك بطليموس المشهور باسم فيلادلفوس الذى كان يهتم جداً بمواهب وشهرة العلماء، بجمع كتب الشعر اليونانية وتنظيمها وترتيبها: ألكسندر قام بجمع وترتيب التراجيديات؛ لايكوفرون قام بجمع وترتيب الكوميديات، زينودوتس قام

بجمع وترتيب قصائد هوميروس وغيرها من القصائد الرائعة. ولأن هذا الملك كان على معرفة بالفلاسفة وغيرهم من الكتاب المشهورين فقد طلب الحصول على الكتب من جميع أنحاء العالم بقدر الإمكان على نفقة البلاط الملكي السخي وكلف ديمتريوس الفاليري (وغيره من المستشارين) بذلك. وقد أعد مكتبتين لذلك إحداهما خارج القصر والثانية داخل القصر. وفى المكتبة الخارجية كان هناك ٤٢,٨٠٠ مجلد وفى مكتبة القصر كان هناك ٤٠٠,٠٠٠ مجلد مركب و ٩٠,٠٠٠ مجلد مفرد وملخصات طبقاً لما قال به كاليماخوس رجل البلاط وأمين المكتبة الملكي والذي سجل بيانات تلك المجلدات الكثيرة. وكان هناك شخص آخر قدم نفس هذه المعلومات هو إراتوستينز الذي كان رئيساً لنفس المكتبة ليس بمتأخر كثيراً عن كاليماخوس. هذه المجلدات العلمية التى استطاع الحصول عليها جاءت من كل الشعوب وبكل اللغات وقد أمر الملك بترجمتها إلى لغته بأقصى درجة من العناية على يد أمهر المترجمين. والآن تم جمع كل الأشعار على يد ييزستراتوس الذى عاش قبل بطليموس فيلادلفوس بمائتي عام، بأقصى درجة من العناية. والآن جمع شعر هوميروس الذى كان مشتتاً من قبل، وقد قام بتلك المهمة المقدسة أربعة من العلماء المشهورين وهم بالاسم: كونيوس؛ أونوماكريتوس الاثيني؛ زوييروس من هرقلية؛ أورفيوس من كروتون. وقبل ذلك الوقت كانت أشعار هوميروس مشتتة قطعاً قطعاً وتقرأ بصعوبة. وبعد عناية ييزستراتوس بأشعار هوميروس للمرة الاولى، ونحت رعاية بطليموس يقوم أرسطارخوس بكل الدقة باستكمال مجموعة هوميروس. يقول هيلودوروس أشياء كثيرة مناقضة لذلك بشكل مضحك قام تزيترس بدحضها على نحو مطول؛ لأنه (هيلودوروس) يقول بأنه تم جمع أعمال هوميروس بواسطة ٧٢ عالماً عيّنهم ييزاستراتوس لهذا الغرض لأن هؤلاء (أى الاثنين وسبعين عالماً) قاموا فى حقيقة الأمر بأعمال كلفوا بها من قبل زينودوتس وأرسطارخوس وقد فضلوا عن سواهم، والزيف واضح هنا حيث أنه كانت هناك ٢٠٠ سنة بين ييزستراتوس وزينودوتس وكان أرسطارخوس أصغر بنحو أربع (و) سنوات من كل من زينودوتس ويطليموس. ]

وإلى هنا تنتهى حاشية تريتريس وليس هنا مجال التعليق عليها سطرًا بسطر لأنها كانت فى حقيقة الأمر مثار تعليقات كثيرة باعتبارها أقرب مصدر إلى مكتبة الإسكندرية.

### فهرسة وتصنيف مجموعات مكتبة الإسكندرية

لكى نكشف عن المجهود الخرافى الذى يذل فى فهرسة وتصنيف مقتنيات مكتبة الإسكندرية على يد كاليماخوس ومعاونيه لا بد أن نستدعى أرقام تلك المقتنيات وطبيعتها حيث قلنا أنه كانت هناك على وقت كاليماخوس ٤٠٠ ألف لفافة مركبة و ١٣٢ ألف لفافة مفردة، ومعنى اللفافة المركبة أنها تشتمل على عدد من المؤلفات القصيرة داخل اللفافة الواحدة سواء كانت تلك المؤلفات لمؤلف واحد أو لعدد من المؤلفين، وسواء كانت كلها فى مجال واحد أو فى عدد من الموضوعات. ويقصد باللفافة المفردة أنها تضم عملاً واحداً لمؤلف واحد ومن ثم فى موضوع واحد. ومن جهة ثانية فإن العمل الواحد يمكن أن يقع فى عدة مجلدات أى للافات، خذ على سبيل المثال عملاً مثل الإلياذة أو الأوديسة التى قام زينودوتس الذى أشرت إليه سابقاً بتقسيمها إلى ٢٤ كتابا ليس فقط كى تتساوى مع حروف الأبجدية الإغريقية ولكن أيضاً كى يضم كل كتاب ألف بيت من الشعر ومن ثم يمكن تسجيل كل كتاب فى لفافة من الحجم المعقول. ومن الطبيعى أن يكون هناك من الأعمال فى اللافات المركبة بقدر ما تشتمل كل لفافة من عدد هذه الأعمال ويكون العدد النهائى للأعمال المجموعة ضخمًا للغاية وعلى سبيل التقدير والتقريب لو اشتملت كل لفافة مركبة فى المتوسط على خمسة أعمال قصيرة لكان مجموع الأعمال نحو مليونى عمل فى المجموعة المركبة فى المكتبة الأم يضاف إليها ١٣٣ ألف عمل مفرد ليصل عدد الأعمال إلى نحو مليونين ومائة وخمسين ألف عمل. وحتى لو كانت هناك نسخ مكررة من العمل الواحد أو من اللفافة المركبة فإنها لا بد وأن تخضع جميعًا للفهرسة والتصنيف لأننا فى حالة المخطوطات نفهرس كل نسخة على حدة لأن الملامح المادية التى توصف تتفاوت حسبًا

من نسخة إلى نسخة وليس هناك أية فرصة للتطابق كما هو الحال فى المطبوعات. وإذا أضفنا إلى ذلك أن كل لفافة كانت تحتاج إلى فردها لاستقاء البيانات منها وحيث لا توجد لا صفحة عنوان ولا عناوين جارية ولا بيانات معزولة فى مكان خاص عن المؤلف والعنوان والناسخ ومكان النسخ وتاريخ النسخ، ويجب أن نصيف إلى ذلك أيضاً عوامل تلف بعض اللقافات وعدم التتميط فى إخراج اللقافات؛ إذا وضعنا ذلك كله فى الحسبان البعض الآخر وعدم التتميط فى إخراج اللقافات؛ إذا وضعنا ذلك كله فى الحسبان وأضافنا إليه العصر الذى أعد فيه فهرس مكتبة الإسكندرية أدركنا مدى الجهد الضخم والوقت والمال الذى بذل فى إعداد هذا الفهرس ولقننا الحزن والأسف والغم على المعير الذى لقيه هذا الفهرس مع مقتنيات تلك المكتبة.

لقد احتاج الأمر للتعامل مع هذا الكم الهائل من اللقافات إلى فرز مبدئى لها لترميم ما يحتاج أو يمكن ترميمه ثم توزيع مبدئى على أساس المؤلفين أو الموضوعات أو ربما الخطوط وربما أيضاً مصدر الحصول عليها كما للحنا من قبل «كتب السفن»، بل يذهب البعض إلى أن الفرز المبدئى ربما يكون على أساس الشعر والنثر وقد يكون الأمر قد اتصرف إلى عزل الأعمال الدرامية عن الأعمال غير الدرامية ومهما يكن من أمر الفرز المبدئى فإن الفهرسة النهائية والتصنيف قام بهما كاليماخوس ورفاقه فى فهرس عرفه العرب باسم فينكس تحريفاً عن الاسم اليونانى بيناكيس أى القوائم.

### فهارس كاليماخوس

من الثابت تاريخياً أن قدماء المصريين ومن بعدهم الآشوريون ثم كاليماخوس كانوا رواداً فى علم المكتبات وإعداد الفهارس والبيبلوجرافيات. وإن كان كاليماخوس يوصف بأنه أبر البيبلوجرافيا، وذلك لعدم حصولنا على أسماء المصريين أو الآشوريين الذين سبقوه فى هذا المضمار وإن كانت أعمالهم قد وصلتنا. ومن المؤكد أن ما قام به كاليماخوس هو أكبر وأضخم عمل بيبليوجرافى ليس فقط فى وقته ولكن حتى القرن التاسع عشر الميلادى، وما قام به جزئى فى القرن السادس عشر وخلفاؤه فى السابع عشر والمحاولات التى جرت فى الثامن عشر، وما حاوله كل من بول أوتليت وهنرى

لافتين في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين؛ كل ذلك ليس سوى كسرة محدودة للغاية عما نفلده فعلاً وقام به كاليماخوس ورفاقه في القرن الثالث قبل الميلاد. وعندما ندرك أن ثلاثة فقط هم الذين قاموا بهذا العمل المستفيض أدركنا مدى الجهد الذي قام به كل منهم والزمن الذي استغرقه كل منهم من عمره في هذا العمل حتى لقد قيل بأن كاليماخوس قد ودع الشعر وطلقه وتزوج العمل الجيولوجي وتفرغ له. ولعل أحسن من أرخ لكاليماخوس وفهارسه وجهوده الجيولوجية هو رودلف بلوم في كتابه «كاليماخوس: مكتبة الإسكندرية وأصول الجيوجرافيا». وقد كتب بالألمانية وترجمه إلى الإنجليزية هانز ويلش ونشرته جامعة ويسكونسن سنة ١٩٩١.

والكتابات عموماً حول كاليماخوس وحياته وأعماله محدودة بل ومليئة بالتناقضات. وقد تواتر في المصادر القليلة أنه كاليماخوس أبوه باتوس وأمه ميزانما [أوميچاتيجا] من كيرين اشتغل بالنحو وهو تلميذ النحوي هيرموكراتيس من إلياسوس وقد تزوج ابنة يوفراتيس من سيراكيوز وابن أخته يدعى أيضاً كاليماخوس (الأصغر) كتب ابن أخته شعراً كثيراً عن الجزر ويحدث اللبس بينهما من هذا المنطلق. ولقد عاش كاليماخوس القرن الثالث قبل الميلاد. ويقال أنه كتب أكثر من ثمانمائة كتاب وربما كانت عبارة عن رسائل صغيرة. وقد عاش في عصر بطليموس فيلادلفوس. وقبل أن ينخرط في بلاط الملك كان يعمل مدرساً في المدرسة الابتدائية في إيلوسيس وكانت ضاحية من ضواحي الإسكندرية ويقال أنه عاش حتى وقت بطليموس الثالث يوجرنيوس.

ومن خلال إنتاجه الفكري والكتابات القليلة التي كتبت عنه يمكننا القول أنه كان نحويّاً أي مشغلاً بعلم اللغة، كما كان شاعراً وكما أسلفنا كان جيولوجياً. وكما يظهر من قائمة مديري مكتبة الإسكندرية في الفصل السابق عمل الرجل في المكتبة من ٢٦٠ - ٢٤٠ ق.م.

وكجيولوجي فقد أعد كاليماخوس عدداً من الجيولوجيات والفهارس من بينها قائمة بأعمال كتاب المسرحيات الاثنيين وقائمة بكتابات ديموقريطس. وأهم أعماله

البليوجرافية على الإطلاق هو فهرس مكتبة الإسكندرية ولا بد من التنبه بداية إلى حقيقة هامة وهي أن جميع أعماله البليوجرافية وفهارسه يشار إليها باسم: ييناكيس على سبيل الاختصار.

والعنوان الكامل لقائمة أعمال كُتَّاب المسرحيات الاثنين هو «قائمة وسجل كُتَّاب المسرحيات مرتبة زمنياً منذ البداية». أما قائمة أعمال ديوقريطس فعنوانها «قائمة حواشي وكتابات ديوقريطس».

والعمل البليوجرافى الذى يتصل بمكتبة الإسكندرية هو قوائم المؤلفين الإغريق وأعمالهم. وهذا العمل هو أعظم عمل المنجزه كاليماخوس ويفوق جميع أعماله الأخرى كلها شعرية أو نثرية بمراحل، ليس فقط بسبب استفاضة (١٢٠ كتاباً أو مجلداً) ولكن أيضاً فى أهمية هذا العمل وخطورته. وهذا العمل العلمى هو قمة أعمال كاليماخوس العلمية والذى تردد ذكره كثيراً عند المؤلفين القدامى جميعهم. والعنوان الكامل لهذا العمل كما وضعه كاليماخوس نفسه هو: «قائمة بهؤلاء الذين تميزوا فى كل فروع المعرفة وكتابتهم».

وينظر إلى هذه القوائم على أنها: فهرس مشروح لمكتبة الإسكندرية كما ينظر إلى كاليماخوس. على أنه الراعى المقدس للمفهرسين. وينظر بعض الباحثين إلى هذه القوائم ليس فقط على أنها فهرس ولكن أيضاً على أنها بليوجرافية عالية مستغنية للعصور القديمة؛ ذلك أنها تتضمن معلومات أكثر بكثير مما يتضمنه فهرس أى مكتبة؛ فهي تقدم عن كل مؤلف نبذة مختصرة عن حياته وسيرته وقائمة بأعماله الفكرية حتى تلك الأعمال المفقودة التى لم تصل إلى المكتبة ومعلومات عن أى شك يتطرق إلى نسبة العمل إلى المؤلف. وكما سترى فيما بعد رتب المؤلفون تبعاً لفئات واسعة. لقد جاءت هذه القوائم سجلاً تحليلياً وافياً بالإنتاج الفكرى فى العالم القديم؛ وربما كانت أول تأريخ للفكر يحاول مسحاً كاملاً للكتب الإغريقية حيثما وُثِّق.

ورغم أنه كان فى مصر فهارس وفى العراق القديم فهارس وربما فى مناطق أخرى من الشرق القديم فإن كاليماخوس لم يكن أمامه نموذج يحتذى فى عمله المستفيض لأن



أهدافه البيولوجرافية كانت غريبة تماماً. لقد قصد الرجل إلى جعل المعلومات والأفكار المخبأة في الإنتاج الفكري الإغريقي متاحة للباحثين في كل مكان وفي كل زمان كما أمل. ومن جهة ثانية نحمد أن الشرق نظر إلى الكتب كأشياء ثمينة ولم يشأ إتاحتها إلا على نطاق ضيق ومن ثم اخترع نظاماً معقداً لحفظها.

وللاسف الشديد لم يصلنا من هذا الفهرس إلا مقتطفات من مقتطفاته التي تسربت إلى أعمال مؤلفين آخرين وقام مؤلفون سواهم باقتباس بعضها ومن هنا فإن معلوماتنا عن هذا الفهرس وعن طريقة تنظيمه وعن طريقة تنظيم اللغات وترتيبها داخل المكتبة هي مجرد تخمينات غير يقينية جاءت من خلال إعادة تكوين للتقطعات المحدودة التي وصلتنا.

لقد قسم كاليماخوس فهرسه إلى أقسام رئيسية وكل قسم قسمه إلى شعب وربما قسمت كل شعبة إلى فروع. ولكن كم كان عدد الأقسام الرئيسية، هذا أمر لم نعرفه تحديداً وإن كان قد وصلتنا سياسته في تقسيم الموضوعات عن طريق الاقتباسات التي نحمدنا في المصادر. ولسوء الحظ لم يصلنا سوى ثلاث فقط من الأقسام الرئيسية هي:

١ - الخطابة.

٢ - القوانين.

٣ - مفرقات.

وهذه الأقسام الثلاثة جاءتنا عن طريق مقتطفات أثيناينوس من هذا الفهرس، وقد أمدنا عرضاً بمعلومات عن قسمين آخرين هما التاريخ والفلسفة وقد أكد على قسم الفلسفة كاتب مقتبس آخر هو ديوجينيس لايرتيوس.

لقد كانت هناك بدون شك قوائم أخرى أعدت بعد عهد كاليماخوس اعتمدت على الخطوط المرئية لتلك القوائم التي أعدها كاليماخوس ويقال إن من بينها قوائم أعددها هيرميوس من سميرنا وهو من أتباع كاليماخوس وربما أحد معاونيه في إعداد فهرسه، كما يقال إن أرسطوفانيس البيزنطي الذي كان واحداً من مديري المكتبة بعد

كاليماخوس قد أعد نسخة متقنة من ذلك الفهرس وزجأ أحد فهرسًا جديدًا مبنيًا على عمل كاليماخوس. ومن المحتمل أن يكون هناك من الباحثين في سنوات مختلفة بعد هذا الفهرس قد قاموا باستخراج بعض الفصول منه كما أنه من المحتمل أن تكون مكبتات أخرى قد نقلت عن هذا الفهرس نموذجًا لها والأمثلة على هذا الاتجاه كثيرة.

ويعتقد رودلف بلوم أن فهرس كاليماخوس قد أعدت منها نسخ مختلفة وكانت تستخدم استخدامًا مكثفًا داخل وخارج المكتبة طالما كانت المكتبة في أوج ازدهارها. ومن الثابت أن الباحثين في القرون الأولى الميلادية كانت لديهم نسخ من تلك الفهارس ولما كانت رغبة الباحثين في الكتب الكلاسيكية مازال متأججة في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد فقد تم نقل هذه الفهارس من اللقافة إلى الكراس، ولكن بعد القرن الرابع الميلادي وخفوت الرغبة في الكتب الكلاسيكية وبعد إهمال مكتبة الإسكندرية، أهمل الفهرس نفسه ولم يعد يستنسخ وإذا نسخ فقد كان ذلك بعدد ضئيل من النسخ اختفت مع اضمحلال الثقافة والفكر الكلاسيكي ودخول العالم إلى منعطف آخر.

ومن خلال المقتطفات التي وصلتنا وإعادة تركيب المعلومات يمكننا تتبع تصنيف هذه الفهارس والأسلوب البيوجرافى بها على الوجه الآتى:

١ - تم تقسيم المؤلفين إلى فئات ودخل كل فئة يتم تقسيمهم إلى فئات فرعية إذا استلهم الأمر ذلك (حوالى ١٢٠ فرعًا). وكان كل قسم أو فرع في لقافة أو مجلد واحد.

٢ - تم ترتيب المؤلفين داخل القسم الواحد أو الفرع الواحد في ترتيب هجائى.

٣ - تمت إضافة معلومات بيوجرافية عن حياة كل مؤلف كلما أمكن ذلك.

٤ - تحت اسم كل مؤلف تم إدراج عناوين كتبه مع تجميع مفردات النوع الواحد منها معًا.

٥ - تحت كل كتاب تقدم الكلمات الأولى في النص وعدد السطور التى يقع فيها العمل

أما عن الأقسام الرئيسية فقد وصلنا عدد من التصورات لها نأتى على بعضها. لقد قدم لنا بارسونز تصوره للأقسام الرئيسية على أنها عشرة أقسام تدير على النحو الآتى:

١ - الشعر للمحمى وغيره من الأشعار غير الدرامية.

٢ - الدراما.

٣ - القوانين.

٤ - الفلسفة.

٥ - التاريخ.

٦ - الخطابة والبلاغة.

٧ - الطب.

٨ - العلوم الرياضية.

٩ - العلوم الطبيعية.

١٠ - متفرقات.

وهناك من بين هذه الأقسام العشرة ثلاثة (القانون، الخطابة، المتفرقات) وصلتنا عبر مقتطفات مباشرة من فهرس كاليماخوس، وخمسة (القانون، الفلسفة، التاريخ، الخطابة، المتفرقات) وصلتنا عبر إشارات وصفية إلى الفهرس مما يؤكد على الثلاثة المباشرة. أما الثلاثة الباقية فهي مجرد استنتاجات تخمنل الصواب وتخمنل الخطأ وفى انتظار ما يؤكدها، أو ينفيها. وكما قلنا قُسم كل قسم منها إلى شُعَب وكل شُعْبَة إذا احتاج الأمر إلى فروع وعلى سبيل المثال قُسمت الدراما إلى: تراجيديا وكوميديا.

المهم أنه تحت كل قسم رئيسى أو فرعى قدم الفهرس اسم المؤلف ومكان الميلاد (النسبة)، اسم والده، أسماء أساتذته وتعليمه، اسم اللع إن وجد، الاسم المستعار إن وجد، سيرته مختصرة كلما أمكن. بعد هذه البيانات البيوجرافية، تدرج أسماء أى

عناوين المؤلفات (وإن لم يكن لأيهما عنوان قام المفهرس باختيار عنوان مناسب) ويصحب كل عنوان تعليق على صحته وصحة نسبه إلى المؤلف وأخيراً ترد تبصرة بالكلمات الأولى من النص، ثم عدد السطور التي يقع فيها النص بالضبط لكل عمل على حدة وللمجموع أعمال المؤلف الواحد. وعدد السطور في كل عمل كان مسألة هامة لضبط حجم النص وتحديد مكافأة الناسخ وأيضاً كمرجع عام.

وكما أشرت من قبل رتب المؤلفون داخل القسم أو الفرع في ترتيب هجائي ولكن مع بعض الاستثناءات. وهذا النظام في الوصف اقتبه الرومان من الإسكندنزية في قائمة المسرحيات الواحدة والعشرين الخاصة بالكاتب بلوتوس، ونجد أيضاً في سويداس، ديوجينيس وغيرهم. وسوف نتعرض هنا لبعض النماذج من داخل كل قسم ونرى كيف كان القسم.

### ١ - الشعر الملحمي وغيره من الأشعار غير الدرامية

- تحت هوميروس الذي له أكثر من ألف لغاة في المكتبة قسمت اللغات إلى

١ - الأعمال الأصلية لهوميروس.

ب - الأعمال المتحلة له والقصائد المشكوك في نسبتها مع تعليقات حول صحتها.

- تحت هيسود. استخدمت نفس الطريقة.

- تحت بندار. نجد تقسيمات فرعية بالامكان.

- تحت سيمونيدس. جرى التقسيم على حسب نوع القصائد. ويمتد أن كاليماخوس صنف كل قصيدة على حدة وفهرسها أيضاً.

### ٢ - الدراما

نجد تحت كل مؤلف نفس البيانات البيو - بيليوجرافية مع بعض المعلومات التقليدية. ويمتد بعض البيليوجرافيين أنه جرى ترتيب المؤلفين هنا زمنياً وليس هجائياً وداخل كل مؤلف على حسب تاريخ تأليف المسرحية لأن توليف المسرحيات أعطيت هنا. ومن

الطريف أن السياق الزمنى هنا كان ينبذ أحياناً ويتبع الترتيب الهجائى .

### ٣ - القوانين

أورد كاليماخوس فى فهرسه المجلد الثالث وصفاً لقواعد القانون مثال ذلك :  
«القاعدة العامة هى أن الكل متساوون أمام القانون والعدل يطبق على الجميع» . وهذه  
القاعدة القانونية تقع فى ثلاثمائة وثلاثة وعشرين سطراً .

### ٤ - الفلسفة

لم تصلنا أية قطع عن موضوع الفلسفة فى فهرس كاليماخوس ولكن وصلتنا بعض  
قوائم مفصلة نقلها هيرميوس من سميرنا الذى يعتقد أنه كان تلميذ كاليماخوس  
ومساعدته فى المكتبة وقد عمل معه فى إعداد الفهارس ، وعندما توجد قوائم ترجع إلى  
منتصف القرن الثالث قبل الميلاد فإنها ولا بد وأن تكون قد استقيت من فهرس  
كاليماخوس . ولقد كان هيرميوس باحثاً فى المتحف وأصبح كاتباً متميزاً وله كتاب  
مرموق فى التراجم هو «سير الفلاسفة والمؤرخين والشعراء» يعتقد البعض أنه أسس  
بلاشك على البيانات البيوجرافية التى جاءت فى فهرس كاليماخوس ، وجاء فيه بسير  
كاملة لهم ومن ثم عمل كتاباً عظيماً مفصلاً ظل يرجع إليه حتى وقت الإباطرة  
الرومان . ويرى بعض النقاد أن القائمة الهجائية لكتابات ثيوفراستوس والتى تضمنها  
عمل ديوجينيس لايرتيوس إنما ترجع إلى فهرس كاليماخوس عبر هيرميبس .

### ٥ - التاريخ

ليست لدينا معلومات كثيرة عن قسم المؤرخين فى فهرس كاليماخوس ولم تصلنا  
أى قطع مباشرة من هذا الفهرس ولا قوائم مطولة غير مباشرة عن هذا القسم ، وربما  
كان ذلك بسبب أن المؤرخين القدامى لم يكتبوا كتباً كثيرة مقارنة بكتّاب الشعر  
والخطباء ، والنماذج القليلة التى وصلتنا مرتبة هجائياً . ومن المدهش أن نشير إلى أن  
عناوين كتب المؤرخين القداماء لم تكن ثابتة وكانت تلك الكتب تعرف بمؤلفها أكثر مما  
تعرف بعناوين محددة لها كما حدث فى حالة هيرودوت وثيوكيديدس وغيرهما .

## ٦ - الخطابة

فى هذا القسم رتب الخطباء هجائياً بأسمائهم ونحت كل خطيب أدرجت الخطبة بعنوانها وإن لم يكن لها عنوان رسمى أعطى لها عنوان من قبل المفهرس. ويبدو أن الخطب تحت كل خطيب قُسمت على حسب الأغراض مثل: خطب رسمية، سياسية، الحكم، قانونية، مهنية، مدنية أو على حسب المناسبات. ويعزى إلى كاليماخوس نفسه أنه هو الذى رتب خطب ديموثينس وقد وصلنا الترتيب الأصلى لها فى فهرس كاليماخوس عبر مصادر أخرى.

## ٧ - الطب

لم تصلنا هنا أيضاً قوائم مطولة أو قطع مباشرة؛ ولكن قام هيسكيوس بإعداد قائمة بيلوجرافية استندت فى تصنيفها على فهرس كاليماخوس وجاء الطب فى تلك القائمة رقم ٧. وهذه القائمة كانت مصدراً لكثير من القوائم التى تلتها لعدة قرون، ربما حتى القرن العاشر الميلادى إذ يذكر الثقة أن سويداس ربما يكون قد اعتمد عليها فى جانب من مجمله الذى أعده فى ذلك القرن.

## ٨ - العلوم الرياضية

لم تصلنا أية معلومات محددة عن قسم العلوم الرياضية فى فهرس كاليماخوس ولكن يعتقد أنه قد خصص لها قسم رئيسى نظراً للاهتمام الكبير بها فى الفكر اليونانى والهلبنى. ونفس الشيء حدث فى فهرس أريستوفانيس البيزنطى.

## ٩ - العلوم الطبيعية

لم تصلنا كذلك معلومات مؤكدة عن العلوم الطبيعية أى العلوم البحتة، ولكن نظراً لوجود إنتاج فكرى غزير فى هذه المجالات فإن من الطبيعى أن نعتقد بوجود قسم رئيسى فى تصنيف كاليماخوس يتعلق بهذه العلوم؛ خاصة وأن أكاديمية الإسكندرية (المتحف) لم تكن تحفل كثيراً بالفلسفة وإنما انصب اهتمامها الرئيسى حول دراسات العلوم الطبيعية والطب وعلم اللغة والشعر.

## ١٠ - المتفرقات

ذكرت من قبل أن المتفرقات كانت من الأقسام الرئيسية التى وصلتنا منها قطع مباشرة من فهرس كاليماخوس. وقد رتب المؤلفون فى هذا القسم ترتيباً هجائياً. أما المختلط منها فقد قسم إلى مجالات موضوعية ودخل كل مجال رتب الأعمال هجائياً. وقد نقل أثيناىوس نماذج طيبة من هذا القسم. ونقتطع منها المثال الآتى:

[هناك كتاب كتبه كايريفون سجله كاليماخوس فى قائمة المتفرقات وكتب عنه ما يلى؛ المؤلفون عن الولائم: كايريفون. أهدى إلى بود ثم يرفق بعد ذلك مباشرة بداية النص «طالما أنك قد دعوتنى» ثم يضيف الحجم «فى ثلاثمائة وخمسة وسبعين سطراً». وليست يبعد عن شعبة الولائم والمآدب فى قسم المتفرقات نصادف شعبة عن كتب الطهى، وحيث أدرج قائمة هجائية بأسماء مؤلفى كتب الحلويات.

يقول إدوارد ألكسندر بارسونز أن فهرس كاليماخوس كانت أعظم فهرس مكتبية أنجزتها الحضارة الغربية. ولقد تضمنت فى نسختها الأصلية أساسيات الفهرسة الحديثة واستحق صاحبها كاليماخوس أن يلقب بأبى البيليوجرافيا. وككل الجهود الفكرية العظيمة التى جادت عندهم أرسى الإغريق قواعد الفهرسة وأسس التصنيف التى أثرت بطريقة أو بأخرى فى قواعد الفهرسة ونظم التصنيف الحالية. ولا بد وأن نقر بأن قوائم كاليماخوس لم تكن مجرد فهرس، لقد كانت كما أشرت من قبل بيبيوجرافية عالمية أحدها أكبر بيبيوجرافى فى عصره. إن التصدى لتسجيل الإنتاج الفكرى المكتوب باليونانية وإعطاء نبذة بيوجرافية عن المؤلفين وبيانات بيبيوجرافية عن أعمالهم منذ هوميروس حتى كاليماخوس وتقديم نبذة تحليلية ونقدية عن تلك الأعمال، إنما يستند فى حقيقة الأمر على رصيد ثرى وعميق من الفكر والعلم لدى كاليماخوس، جعله يستحق إلى جانب لقب أبى البيليوجرافيا لقب أبى التاريخ الفكرى.

وقد يقال بأن كاليماخوس قد مسح الإنتاج الفكرى اليونانى كما وجده أو كما تجمع

واقفتى فى مكتبة الإسكندرية مما فرض عليه قيوداً محددة، ولكننا نعلم أنه فى حصره لإنتاج المؤلف الواحد لم يكن يتقيد فقط بما هو متاح للمؤلف فى المكتبة بل تجاوز ذلك إلى مجموع إنتاج المؤلف على حسب علم كاليماخوس ورفاقه. ومن هنا فإن قوائم كاليماخوس تقف فى منطقة ما بين الفهرس والبليوجرافية والتاريخ الفكرى وإن كانت إلى الفهرس أقرب بطبيعة الحال. لقد انطوى الفهرس على معالجة علمية لكل مؤلف وأعماله قدر الإمكان وهى وإن لم تكن معالجة مطولة فى كل الأحوال إلا أنها كانت كافية ومشبعة وفتحت الباب واسعاً أمام من يريد التوغل فى العلم وحيث أن نصف العلم تنظيمه وبالتالي يكون كاليماخوس قد قام وحده بنصف العلم لجيله والأجيال التى تلت لعدة قرون. وتنبع أهمية هذا الفهرس أيضاً فى أنه يسير مع التعليمات التى أرساها أرسطو بين تلاميذه حيث قال لهم إنه قبل البدء فى أى بحث علمى لابد من جمع مصادره وتحليلها وتقدها قبل استقاء أى مادة علمية منها. ولقد خرج من بطن فهرس كاليماخوس أجيال من كُتّاب التراجم، وأجيال من البليوجرافيين وأجيال من مؤرخى الفكر، كما وجد فيه المؤرخون والحوليون معيلاً لا ينضب من المعلومات الجاهزة المقيدة لهم. وتقف هنا على عتبة فقط من المدارس التى خرجت من عباءة هذا العمل. فهناك مدرسة هيرميبوس، وهناك مدرسة سوتيون، وهناك مدرسة إراتوشيتز، وهناك ليسانديوس من كيرين، وهناك يوفوريون، وهناك استروس من كيرين.

لقد شعر أريستوفانيس البيزنطى مدير المكتبة وأحد عمالقة المتحف كما رأينا بضرورة إعداد إصدارات متقنة من فهرس كاليماخوس. ورغم أن الإصدار الجديدة كانت عملاً أصلياً قام به شخص جديد له وزنه وثقله إلا أنه اعتمد على الأسس الأولى التى وضعها كاليماخوس. لقد ضاعت فهرس أريستوفانيس هى الأخرى.

إن خسارة البشرية فى فقد فهرس كاليماخوس هى خسارة فادحة بلاشك تسببت فى طمس معالم علوم العصور القديمة كلها ودفعت بالبشرية إلى ظلام العصور الوسطى ضمن عوامل أخرى كثيرة.



---

## الفصل الرابع

### مصير مكتبة الإسكندرية القديمة

---

كما كانت مكتبة الإسكندرية لغزاً في قيامها كانت أيضاً لغزاً أكبر في مصيرها ونهايتها. واختفاء مكتبة الإسكندرية إما أنه كان نتيجة تدمير عفوى أو متعمداً، أو أنه كان نتيجة التبدد والشيخوخة التي تصيب المؤسسات كما تصيب البشر وخاصة بسبب التحولات التي تطرأ على الحياة. وهناك شبه إجماع على أن التحلل والتبدد والشيخوخة لم تسبب في اختفاء المكتبة. وإنما كانت نهايتها نهاية مفاجئة ليس عن طريق السلب أو النهب أو الغرق أو المصادرة بل كانت تلك النهاية عن طريق الحريق، سواء كان ذلك الحرق عمداً (الحرق) أو غير عمدى (الاحتراق). ومن العرض المستفيض في الفصول السابقة جميعاً للظروف التي نشأت فيها المكتبة وشقت طريقها فيها يمكننا القول أنها ظلت مزدهرة على الأقل طيلة قرنين ونصف من الزمان تنمو وتكبر عقداً بعد عقد وجيلاً بعد جيل. ولكن اعتباراً من النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد يبدأ الحديث عن حرق المكتبة ومن خلال المصادر الكثيرة التي قرأناها وهي مصادر عربية مؤلفة وعربية مترجمة وعربية مكتوبة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومصادر أجنبية باليونانية أو الإنجليزية والفرنسية والألمانية، من هذه المصادر جميعاً نستخلص أن المكتبة احترقت على يد كل من أو على يد واحد من:

١ - يوليوس قيصر ٤٧ ق.م

٢ - أورليان ٢٧٣م

٣ - ثيودوسيوس وثيوفيلوس ٣٩١م

٤ - عمرو بن العاص ٦٤٢م

وبالتالي تكون المكتبة إما همرت قرنين ونصف أو سبعة قرون أو عشرة قرون كلياً أو جزئياً. وسوف نستعرض هنا كل حالة ما لها وما عليها.

## يوليوس قيصر فى مصر

أسلفنا فى فصل سابق أن يوليوس قيصر جاء إلى مصر وقضى نحو تسعة أشهر بين ٤٨ - ٤٧ ق.م. وكانت هناك حرب أهلية بين الرومان، وجاء قيصر إلى مصر لتعقب بومبيوس مناؤه الذى كان قد فر إلى مصر ولكنه كان قد لقي مصرعه قبيل وصول قيصر إليها. وعندما دخل يوليوس قيصر إلى الإسكندرية كان هناك صراع دموى بين كليوباترا وشقيقها بطليموس الثالث عشر على السلطة واتخذ يوليوس قيصر جانب كليوباترا التى حملت منه فى ذلك الوقت، وثار المصريون ثورة عامة ضد قيصر الذى دخل فى حرب مع بطليموس الثالث عشر لصالح كليوباترا، ولكن قيصر وجد نفسه محاصراً فى البر والبحر حيث تفوق عليه عدوه فى عدد السفن، وفى البر قطعت إمدادات المياه عن قواته وكادت تهلك عطشاً ولكى يخرج من هذا المأزق العسكى عمد إلى إحراق كل السفن فى الميناء بما فى ذلك السفن المدنية التى كانت فى الترسانة البحرية التى أشرنا إليها فى فصل سابق وبعد ذلك أنزل قواته المحدودة إلى جزيرة فاروس للتحكم فى الموقف. ومن الجدير بالذكر أن قيصر آنذاك كان فى الثالثة والخمسين من عمره.

وتذكر المصادر بعد ذلك أن حريق السفن فى الميناء كان هائلاً وقد امتدت السنة للهيب من الميناء إلى ما حول الميناء من مبان فى حى البروكيوم الذى كان يتحلق الميناء وأنت عليها بما فى ذلك المكتبة والمتحف بطبيعة الحال ومعنى الامتداد هنا أن النار شبت فى المباني، وربما تكون المكتبة أقرب للميناء من المتحف نفسه وربما العكس فلا نعرف على وجه اليقين أيهما كان أقرب للميناء من الثانى.

وقد كتب قيصر نفسه عن تلك الموقعة ولكنه لم يذكر شيئاً عن مدى الحريق وأثاره ولم يصلنا ما كتبه المؤرخ ليفيوس عن حرب الإسكندرية وزيارة قيصر، وأول كتابة مفصلة عن حقيقة ما حدث جاءت بعد أكثر من قرن (حوالى ١١٠ سنة) من وقوع الحريق فى ملحمة لوكانوس عن الحرب الأهلية الرومانية وهو الذى اتهمه نيرون بالخيانة والتآمر ضده وأعلمه سنة ٦٥م، كما أعلم الفيلسوف العظيم فى نفس السنة. وما قاله لوكانوس فى هذا الصدد يسير بالنص على النحو الآتى:

«انتشر الحريق وراء السفن إلى أجزاء أخرى من المدينة فاشتعلت المباني المجاورة للبحر واندفعت ألسنة اللهب فوق أسطح المباني فى سرعة الشهب» ولكن الرجل لم يشر إلى احتراق المكتبة أو المتحف حيث جاءت عبارته عامة.

وإذا كان أول نص عن الحريق قد جاء بعد مائة وعشرة أعوام من الواقعة فإن سائر النصوص التى وصفت الحريق وآثاره ترد بعد هذا النص الذى جاء به لوكانوس. ومن بين الآراء التى قيلت فى هذا الصدد:

١ - كتب سينيكا (٢ ق.م - ٦٥م) فى منتصف القرن الأول الميلادى أن النار التى أضرمتها قيصر فى الميناء أتت على أربعين ألف لقافة ويضيف الدكتور مصطفى العبادى من عنده (والراجع الآن أربعمئة ألف) وهو مالم يقل به سينيكا.

٢ - كتب بلوتارخ (٥٠ - ١٢٥م) المؤرخ اليونانى الذى عاش فى روما يقول على وجه التحديد أنه لما أوشك أسطول قيصر أن يقع فى أيدي أعدائه المصريين الذين حاصروه اضطر إلى درء الخطر بإشعال الحريق وانتشر الحريق من الترسانة البحرية ودمر المكتبة الكبرى. ويجب أن ندرك أن بلوتارخ كتب ذلك فى نهاية القرن الأول أو مطلع القرن الثانى الميلادى أى بعد مرور قرن ونصف تقريباً على الواقعة نفسها.

٣ - كتب أولوس جيلوس (١٢٣ - ١٦٩م) العالم اللغوى والناقد اللاتينى تحديداً يقول عن المكتبة: أنه فى زمن سابق جمعت أو نسخت كميات هائلة من الكتب على يد الملوك البطالمة وصلت إلى ما يقرب من سبعمائة ألف مجلد. ولكن هذه الكتب جميعاً احترقت فى حرب الإسكندرية الأولى ولم يكن ذلك عن قصد أو عمد.

٤ - ويشير المؤرخ كاسيوس الذى عاش نهاية القرن الثانى الميلادى وأوائل القرن الثالث الميلادى إلى حريق المكتبة فيؤكد أن النار شبت فى أماكن كثيرة كما أحرقت مخازن الغلال والكتب التى كانت قرية من المرفأ. ويقال أن هذه الكتب

كانت كثيرة العدد عظيمة ويشير بعض الباحثين إلى أن كاسيوس قصد بذلك المكتبة الكبرى وهو مالم يقله الرجل تصريحاً أو تلميحاً.

٥ - ذكر المؤرخ إميانوس فيليوس الذى عاش القرن الرابع الميلادى بأنه كانت هناك فى الإسكندرية مكتبة ثمينة لا تقدر بثمن أجمع الكتاب على أنها كانت تقتنى مالا يقل عن سبعمائة ألف كتاب، احترقت فى حرب الإسكندرية عندما دمرت المدينة زمن يوليوس قيصر.

هذه الروايات جميعاً تشير إلى احتراق مجموعات من الكتب خلال موقعة الإسكندرية وحرق السفن التى كانت موجودة فى الميناء والترسانة البحرية، وذلك على يد يوليوس قيصر سنة ٤٧ ق.م. ولما غضبت كليوباترا من ذلك أراد مارك أنطونيوس أن يعوضها عن احتراق تلك المجموعات فحمل إليها مجموعات مكتبة بروجاموم وكانت تقدر بمائتى ألف مجلد من بردى ورقوق على النحو الذى أشرت إليه سابقاً.

وعلى الجانب الآخر من الصورة يرى البعض أن الحريق لم يمتد ليشمل المكتبة الكبرى، وإن كانت هناك كتب احترقت فربما كان ذلك فى مخازن بالميناء حسب تعبير كاسيوس (مخازن الغلال والكتب). أى أن الربط بين الغلال والكتب يؤكد على أنها ليست المكتبة الكبرى بأى حال من الأحوال وربما تكون لفافات بردى معدة للتصدير إلى روما وتوهم البعض أنها كتب. ويرى هؤلاء الكتاب أن الروايات السابقة يمكن تفنيدها على النحو الآتى:

١ - أن أقرب الروايات إلى زمن الموقعة والحريق يبعد عنه بأكثر من قرن كما رأينا وهى رواية سينيكا الذى حدد عدد اللفافات التى احترقت بأربعين ألفاً ومن ثم تكون فعلاً هى تلك الموجودة بالمخازن فى الميناء لأن النار لو امتدت إلى المكتبة الام لاتهمت كل مقتنياتها. ومن جهة ثانية ربما تكون سائر الروايات التالية له قد أخذت عنه دون تمحيص أو تحليل أو روية.

ب - أنه مهما اشتعلت النار فى الأسطول ومهما امتد اللهب إلى الشاطئ فقد كان

كانت المكتبة والمتحف بمنأى عن ألسنة النار لأن المباني كانت بالضرورة بعيدة عن الميناء وإن آتت النار على المباني فلتكن مباني الميناء نفسه ومخازنه وإن كان فيها كتب فليست بحال كتب المكتبة الكبرى أو غيرها إلا أن تكون كتباً معدة للتصدير أو واردة في انتظار الفسح ولو كانت على ذمة المكتبة. ومهما كان عددها فلن يصل إلى سبعمئة ألف أو أربعمئة ألف حسبما ذكر وربما يكون رقم سينيكا أقرب إلى الصحة.

ومن جهة ثانية فإن مباني الإسكندرية القديمة لم تكن لتتحرق بسهولة على نحو ما قلعناه عن كيفية بناء المباني بالحجر وخاصة تغطية الأسطح بالحجر ومن المؤكد أن مبنى المكتبة كان من الحجر الخالص الذي لا يمكن أن تخترقه ألسنة النيران القادمة من البحر بسهولة وبساطة.

ج - أن الروايات جميعاً أكدت على أن حريق المكتبة لم يكن عمداً، ونشير هنا أن قيصر لم يقصد غزو الإسكندرية وكانت زيارته للإسكندرية مجرد زيارة ودية وبالتالي فإن نية التخريب لم تكن واردة ولم يكن من أخلاق الرومان أو من سلوكيات قيصر أن يدمروا الكتب فهم الشعب الذي حافظ على كتب اليونان والثقافة اليونانية واستوعبها ونى عليها حتى لقد قيل بأن اليونان المقهورة غزت فاتحها البربرى بعلمها وثقافتها.

د - لم تصلنا وثيقة واحدة تشير إلى أن مارك أنطونيوس عندما حمل مكتبة بروجاموم إلى كليوباترا هدية لها، أن ذلك كان بقصد التعويض عن مجموعات احترقت، ولذا لا يكون الأمر تودداً لها وعريون محبة وصلاقة.

ومن هنا فإن نسبة فرضية حرق المكتبة على زمن يوليوس قيصر لا تزيد على ١٠٪، وإن صحت رواية بروجاموم فإنها ستكون إضافة إلى مجموعات المكتبة أو تكون قد استخلفت في إنشاء مكتبة جديدة في معبد قيصرين الذي أعطت كليوباترا في إنشائه تكريماً للملك أنطونيوس وتخليداً لها والذي أكمله الامبراطور أوغسطس. وقد ذكر فيلون

(٢٠ ق.م - ٥٤م) الفيلسوف اليهودى الذى ولد وعاش فى الإسكندرية أن من بين ما اشتمل عليه هذا المعبد الجليلد. مكتبة عظيمة الشأن ومن المرجح أن تكون نواتها هذه للجموعة.

## أورليان

الحريق الثانى للإسكندرية وقع فى الحقبة المسيحية فى القرن الثالث الميلادى. وتقول المصادر بأن المكتبة ومدينة الإسكندرية بكل مؤسساتها على وجه العموم استمرت بعد حرب الإسكندرية الأولى تؤدى دورها ونشاطها العلمى والفكرى وإن لم يكن بنفس القدر من الازدهار فى القرون الثلاثة السابقة على الميلاد. بيد أن القرن الثالث الميلادى قد حمل للإسكندرية ويلات وأهوالاً وقتاً ومحنًا واضطرابات ففى عام ٢١٦م قام الامبراطور كاراكالا (حكم بين ٢١١ - ٢١٧م) بإراقة الدماء وإغلاق المحال العامة وأغلق المكتبة والمتحف وأوقف رواتب العاملين بهما وطرد العلماء والدارسين الأجانب من الإسكندرية وألقى جميع الامتيازات الممنوحة للجميع. وكانت تلك أول ضربة حقيقية توجه لهذا الصرح العلمى وإن لم يذكر عن الامبراطور أنه قد مس مجموعات المكتبة أو المتحف بسوء.

أما فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى فإننا يجب أن نتوقف أمام المد المسيحى فى مصر ونظرته إلى مكتبة الإسكندرية على أنها معقل للفكر الوثنى دون تمييز بين ماهو دنى وماهو علمانى من الكتب وكان الصراع بين المسيحيين وغيرهم ينعكس أثره بالضرورة أول ما ينعكس على الكتب والمكتبات ثم على سائر مؤسسات المدينة عموماً. وفى سنة ٢٦٥م تعرضت مدينة الإسكندرية لفتنة طائفية كبرى واضطرابات شديدة وخاصة فى حى البروكيوم الذى توجد فيه المكتبة الكبرى. وفى سنة ٢٧٣م قام الامبراطور أورليان (أورليانوس) بغزو الإسكندرية وأحدث بها دماراً شديداً فى نفس الحى الملكى مما أدى إلى فرار موظفى المكتبة والعلماء والباحثين إلى خارج المدينة ولجؤوا بعضهم إلى معبد السيرايوم للاحتباء به. وفى سنة ٢٩٦م قام الامبراطور دقلديانوس بأكبر عملية اضطهاد للمسيحيين حيث كان يقتلهم ويصلبهم

ويخل بهم ودمر بسبب ذلك جانباً كبيراً من المدينة وكان يأمر بإحراق الكتب دون تمييز وأعمل فيها النار دون شفقة. وربما يكون الامبراطور دقلديانوس قد عمد إلى حرق الكتب المسيحية ولكنه من الممكن أن يكون قد أتى على جانب من الكتب الأخرى فى المكتبة الأم. ولم يثبت لنا أنه حرق المكتبة نفسها أو المتحف فهما من تراث الوثنية وليس المسيحية.

المهم أنه لم يأت القرن الرابع الميلادى إلا وكانت الأضواء قد خفتت من حول المتحف والمكتبة وإن لم يتت دورهما تماماً ويذكر البعض أن الموسييون قد تحول إلى مؤسسة تعليمية وليست بحثية وبالتالي ضعف دور المكتبة وانتقل النشاط الأكبر للبحث العلمى والقراءة إلى معهد السيرايوم.

### ثيودوسيوس وثيوفيلوس

فى القرن الرابع الميلادى اشتدت الحركة المسيحية واعتفتها الدولة ديناً رسمياً لها على النحو الذى كشفنا عنه فى فصل سابق، وبدأ الصراع يحتدم وكان لابد للمسيحيين من أن يتقنوا من اضطهادهم قبلاً ومحاربة الوثنية بل بلغوا من التعصب حد الانقسام فيما بينهم إزاء المسيحيين الذين رضوا بالاضطهاد واستسلموا له هل ترفضهم الكنيسة أو تقبل توبتهم وعودتهم إليها؟ وفى سنة ٣٦٦م كان التعصب المسيحى على أشده ويقال أنهم فى تلك السنة هجموا على معبد القيصرين وهدموه ودمروا مكتبته التى كانت كليوباترا قد أنشأتها من المجموعات التى يقال بأن مارك أنطونيو قدمها له من مكتبة بروجاموم.

ومع انتشار المسيحية وتوسعها وزيادة الداخلين إليها يوماً بعد يوم توسعت حربها ضد الحصر الوثنيين والفكر الوثنى ومصادره. وبعد إعلان المسيحية ديناً رسمياً للدولة أخذت المعابد الوثنية وكل ما هو وثنى معرض الآن للاضطهاد من جانب المسيحيين. ويقدر ما كان من قسوة اضطهاد للمسيحيين على يد دقلديانوس كان اضطهاد الوثنية والوثنيين ومعابدهم على يد الامبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩ - ٣٩٥) فى جميع أنحاء الامبراطورية. ويقال أن هذا الامبراطور قد أصدر قراراً فى سنة ٣٩١م بتدمير جميع

المعابد الوثنية فى مدينة الإسكندرية. وكان فى الإسكندرية آنذاك الأسقف شديد التعصب ثيوفيلوس الذى يقال عنه أنه نجح فى الحصول على موافقة الإمبراطور على تحويل ديونيسيوس إلى كنيسة ومارس كثيراً من أعمال العنف والتطرف ضد الوثنيين وأدوات الوثنية فى الإسكندرية، ولذلك هرع كثير من الناس الذين كانوا مائزاًلون على وثنتهم إلى معبد السييرايوم الذى كان كما قلت من قبل فوق تل عال وكان ميناء فى غاية الضخامة والفخامة والمتعة أشبه ما يكون بالقلعة المنيعة، وحاول هؤلاء القوم الاحتماء به أو الدفاع عنه ضد هجمات ثيوفيلوس وأتباعه.

ويقال أن ثيوفيلوس حتى يهجم على المعبد ويحطمه طلب مساعدة والى الإسكندرية وقائد الحامية الرومانية، ولكن المصادر تؤكد على أنهما رفضا أية مساعدة عسكرية فى هذا الشأن دون موافقة مباشرة من الإمبراطور الرومانى وهو ما حدث حيث أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس قراره بتدمير معابد الإسكندرية على النحو السابق. ويقال أن ثيوفيلوس ذهب إلى المعبد فى حشد من أنصاره وقرا القرار على الملأ ثم أخذ معوله وسدد الضربة الأولى لتمثال سيرابيس ثم اندفع وراءه حشد الأنصار وعاثوا فى المعبد فساداً وتدميراً ثم قرر ثيوفيلوس بعد أن تم تدمير المعبد إقامة كنيسة أو تحويل المبنى إلى كنيسة.

وقد رأت بعض المصادر أن عملية التدمير لم تصب سوى تمثال سيرابيس وبعض مظاهر الوثنية الواضحة فى أرجاء المعبد وربما بعض الكتابات الدينية الوثنية فى المكتبة وأن المبنى نفسه لم يدمر عن آخره وإلا فكيف يحول إلى كنيسة بين يوم وليلة، لأنه إذا كان قد هدم من أساسه فإن الأمر يتطلب وقتاً طويلاً فى ظل الحجارة الثقيلة والكتل الصخرية التى بنى منها المعبد. ومن هذا المنطلق ترى تلك المصادر أن مكتبة المعبد ربما تكون قد استمرت فى ظل الشكل الكنسى الجديد له ودخلت ولو بخسائر محدودة إلى القرن الخامس الميلادى وربما تكون فقط قد أغلقت فى وجه المستفيدين وطواها النسيان أو ربما تكون قد نقلت إلى مقبرة داخل الشكل الجديد للمعبد، وهذا القبر تحت الأرض كان مسألة مألوفة فى المعابد والكنائس القديمة؛ على النحو الذى قال به إميانوس



مارسيلينوس الذى زار الإسكندرية فى مطلع القرن الخامس وتحدث عن أوضاع المكتبات فى عموم الامبراطورية وما أصابها على يد المسيحيين وذكر من بينها «مكتبات أغلقت إلى الأبد كالقبر».

ورغم الصورة الظاهرة بأن المكتبة الأم (الكبرى) قد دمرت وخرجت من الوجود إما مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد، أو مع نهاية القرن الثالث الميلادى وبأن مكتبة القيصرين التى حلت محل المكتبة الكبرى قد خرجت من الوجود فى منتصف القرن الرابع الميلادى؛ وبأن المكتبة الصغرى (الابنة) انتهت هى الأخرى وخرجت من الوجود فى نهاية القرن الرابع الميلادى أيضاً وبالتالي يكون الستار قد أسدل على مكتبة الإسكندرية القديمة ذرة مكتبات العالم القديم وتبدأ سحب العصور الوسطى المظلمة تطل على العالم كله؛ ورغم هذه الصورة الظاهرة ورغم كل الحديث عن الحرائق وعمليات التخريب والتدمير يرى بعض الباحثين أن المكتبة الأم قد استمرت بطريقة أو بأخرى بعد القرن الرابع الميلادى ولم تغلق أبوابها كلية ولم تفن عن آخرها؛ وربما تكون قد خبت جلوتها وخفت شعلتها ولكن بقى فيها بالضرورة شيء يتفخ به، كما يؤكدون على أن المكتبتين الآخرين فى القيصرين والسيرايوم استمرا كذلك ولكن على نحو آخر. ويؤكد هؤلاء الباحثون على الحقائق الآتية:

١ - أن مجموعات كبيرة من الكتب البردية قد نجت من كل هذه الأهوال لأن الأباطرة الرومان كانوا شديدى الحرص على العلم ومصادره ولم يعملوا أبداً إلى حريق أو تخريب مقصود للمكتبات، بل أفادوا منها فوائد عظيمة ولو باستغلال الأسرى والعبيد اليونانيين المثقفين على النحو الذى صادفناه من قبل، وهى سمات رومانية اعترف بها جل المؤرخين، وإن لم يهتم الأباطرة الرومان بالإسكندرية نفسها كمركز لفكر العالم، وحاولوا جهدهم نقل هذا المركز إلى روما عندما أصبحوا فى وضع يسمح لهم بذلك.

٢ - أن مجموعات مكتبة برجاموم التى نقلت إلى الإسكندرية، سواء استقرت فى المكتبة الكبرى أو مكتبة معبد القيصرين كانت تتألف أساساً من رقوق لأننا نعلم

أن برجاموم قد طورت صناعة الرقوق بعد توقف تصدير ورق البردى إليها زمن  
الأتاليين. والرقوق تستعمل على الحريق العادى ولا تحترق إلا بعد سكب  
زيوت معينة عليها. ومن هنا فسواء كانت هذه المجموعات بالمكتبة الأم أو بمكتبة  
القيصريون فإنها لابد وقد استمرت بعد القرن الرابع الميلادى؛ والقول بحريقها  
فيه تجاوز.

٣ - أن رواية استصدار المسيحيين لأمر من الامبراطور بهدم معبد السيرايوم وحرقة  
وتخريبه، قول فيه تجاوز شديد أيضاً وتضارب فكيف يتحول المعبد الوثنى بعد  
تخريبه إلى كنيسة. إن التحويل يتم على مبنى قائم على نحو ما حدث فى كنيسة  
أياصوفيا عندما حولت إلى مسجد. ثم كيف يتم حمل الكتب الموجودة فى  
مكتبة المعبد إلى روما والقسطنطينية بعد أن تكون قد احترقت وخربت. أغلب  
ظنى أنه كى يستقيم الأمر، أن قرار الامبراطور كان بتحويل المعبد إلى كنيسة دون  
هدم أو تخريب أو تدمير وأقصى ما هناك هو إتلاف الأصنام التى كانت قائمة  
فيه أى تماثيل آلهة الوثنية المصرية واليونانية على السواء. وربما كان القرار أيضاً  
باستبعاد الكتب الدينية الوثنية وأن تحمل منه بعض الكتب إلى روما والقسطنطينية  
وليس كل الكتب. ويكون معنى هذا أن مكتبة معبد السيرايوم ربما تكون قد  
نقحت ونقيت واستبعد منها ما استبعد ونقل منها ما نقل ولكن مع ذلك بقى  
فيها شيء يوائم الشكل الجديد للدار العبادة أى الكنيسة وبالتالي تكون المكتبة أو  
هذا الشطر من مكتبة الإسكندرية قد عاش هو الآخر بطريقة أو بأخرى بعد القرن  
الرابع الميلادى. ويكون المسلمون عندما دخلوا الإسكندرية فى منتصف القرن  
السابع الميلادى قد وجدوا فيها مكتبات أو بقايا من مكتبة الإسكندرية القديمة.

### عمرو بن العاص

ثمة رواية أخرى تنسب إلى العرب المسلمين حرق مكتبة الإسكندرية عندما دخلوها  
بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٢م فاتحاً لمصر. وقد قال بهذه الرواية عرب مسلمون

قدامى كما قال بها عرب مسلمون وعرب مسيحيون حاليون؛ وقال بها أجنب مستشرقون وغير مستشرقين. كذلك فقد نفاها وفندها عرب وأجنب حاليون. وفي كلتا الحالتين ليس لدينا أدلة عقلية مادية وكل ما لدينا أدلة عقلية استنباطية. وقد تناقلت المصادر العربية بالذات الرواية مصدراً عن مصدر ولم يحاول أيها التوقف والتحليل.

ولسوف نحاول هنا الوقوف طويلاً أمام هذه الرواية لأنها تمس العرب والمسلمين مساً مباشراً. تقول هذه الرواية بأن عمرو بن العاص عندما دخل الإسكندرية قابله عالم سكندري يسمى يحيى النحوى (الغراماطيقى أو الجراماتيكي) وكان أسقفًا في كنيسة الإسكندرية ناقماً على مذهب التثليث الذى أفسد العقيدة المسيحية على النحو الذى أشرت إليه فى فصل سابق ورفض رفضاً قاطعاً أن يكون الله الواحد الأحد ثلاثة ولهذا طرده المسيحيون من الكنيسة وأسقطوه من المنزلة الدينية التى كان فيها. وربما لهذا السبب أعجب به عمرو بن العاص وأكرمه وأحله منزلة طيبة، وكان عمرو بن العاص يحسن الاستماع ويعرف أقدار الرجال فقربه منه ولازمه يحيى النحوى. وبعد أن أتم عمرو فتح المدينة والسيطرة على مرافقها قال له يحيى فى يوم من الأيام ما نصه:

[إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها فمالك به انتفاع فلا نعارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به، فأمر بالإفراج عنه. فسأله عمرو وما الذى تحتة إليه؟ فقال كتب الحكمة التى فى الخزائن الملكية وقد أوقعت الخوطة عليها ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها. فقال له عمرو: ومن جمع هذه الكتب وما قصتها؟ فقال له يحيى: إن بطلوماؤوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية، لما ملك حجب إليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها أوفرد لها خزائن فجمعت وولى أمرها رجلاً يعرف بزميرة (ديمثريوس) وتقدم إليه بالاجتهاد فى جمعها وتحصيلها والمبالغة فى أثمانها وترغيب تجارها فى نقلها ففعل ذلك فاجتمع من ذلك علة أربعة وخمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتاباً. ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة أترى بقى فى الأرض من كتب العلوم مالم

يكن عندنا؟ فقال له زميرة قد بقى فى الدنيا شىء كثير من السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وباب والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك وقال له دم على التحصيل فلم يزل على ذلك إلى أن مات الملك. وهذه الكتب لم تزل محفوظة محروسة يراعها كل من يلى الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا.

[فاستكثر عمرو ما ذكر يحيى وعجب منه وقال لا يمكننى أن آمر فيها بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى الذى ذكرناه واستأذنه ما الذى يصنع فيها فورد عليه كتاب عمر الذى يقول فيه: وأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها.

[فشرع عمرو بن العاص فى تفرقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقيدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وانصبتها فذكروا أنها استنفدت فى ستة أشهر فاسمع واعجب].

وأول حلقة فى هذه الرواية وصالتنا من عبد اللطيف البغدادى (وهو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على الشافعى) المولود سنة ٥٥٧هـ والمتوفى سنة ٦٢٢هـ. وكان هو ووالده من أهوان صلاح الدين الأيوبي.

تلك الرواية بنفس النص تواترت فى مصادر مختلفة بعد البغدادى فقد عاصره وردد نفس القصة القفطى (وهو جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن ابراهيم القفطى) المولود فى قفط بصعيد مصر سنة ٥٦٥هـ وتولى منصب القضاء فى حلب وعرف هناك بالقاضى الأكرم وقد توفى فى حلب ٦٤٦هـ.

وربما يكون الحلقة الثالثة فى هذه الرواية هو أبو الفرج المالطى (أبو الفرج ابن هارون المالطى الشهير بابن العبرى) المولود سنة وفاة البغدادى ٦٢٢هـ والمتوفى سنة ٦٨٤هـ. ثم نقلت هذه الرواية بشحمها ولحمها بعد هؤلاء عن طريق مؤلفين تالين لهم من أمثال المقرئى وحاجى خليفة من القدماء وجورجى زيدان من المحدثين.

وقد تكون هناك مصادر أكبر من البغدادى والقفطى وابن العبرى حيث أن ما وصلنا من مصادر ترجع إلى القرن السادس والسابع وبينهما وبداية القرن الأول الهجرى ما بين خمسمائة وستمائة سنة ولا بد من أن تكون هناك سلسلة من المصادر السابقة عليهما تصلهما بالقرن الأول أو الثانى الهجرى القريبين من الحدث. فالعقل يرفض تماماً أن تكون هذه الرواية مختلفة كلية أو أن تكون نبتت من فراغ تماماً اعتباراً من القرن السادس خاصة إقحام اسم يحيى النحوى فيها. ومن المحتمل أن تكون المصادر السابقة عليهما قد احترقت فيما احترق من مصادر المكتبات العربية المختلفة. وعبد اللطيف البغدادى طاف بمصر وكتب عن آثارها وخططها وذكر حرق العرب لمكتبة الإسكندرية وكانت زيارته لها فى نهاية القرن السادس الهجرى. وهو يقول حول هذا الموضوع فى كتابه عن تلك الزيارة كتاب: **الإفادة والاعتبار والأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر** «ورأيت أيضاً حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها، وأرى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطو طاليس وشيعته من بعده وأنه دار العلم التى بناها الإسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضى الله عنه».

وعندما يذكر رحالة مثل البغدادى تلك العبارة المختصرة عن مكتبة الإسكندرية وقد جاءت عرضاً فلا بد أن القصة كانت معروفة قبله ولذلك أثبتنا على أساس الاستطراد وأن الشيء بالشيء يذكر فقط. وهذا يؤكد ما سبق أن أكدت عليه وهو وجود مصادر سابقة على البغدادى فى سلسلة متلاحقة.

والقفطى الذى عاصر البغدادى ولا نقول أخذ منه ردد نفس الرواية بتفصيل كاف يحتمل بالضرورة أنه نقله من مصدر سابق عليهما معاً. وقد جاءت هذه الرواية عند القفطى فى معجم تراجم الفلاسفة الذى وضعه بعنوان «تاريخ الحكماء» منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية حديثة النسخ نسبياً (١١٩٧هـ أى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى). وقد سجل تفاصيل القصة عند ترجمته ليحيى النحوى. ومن الواضح فى

كلام القفطى والحوار الذى دار أنه ينطوى على بذرة الحقيقة الكامنة وراء كل أسطورة وأنه لم يخترع هذه القصة من فراغ وإنما نقله عن مصدر سابق عليه مما يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل ولكن المشكلة الأساسية هنا هي أن نص القفطى المفضل هذا - وقد يكون مختصراً أو ملخصاً للنصوص السابقة عليه - أصبح الأساس لكل من أتى بعده فى هذه الجزئية. وعلى سبيل المثال فإن أبا الفرج ابن هارون الملقب الشهير بابن العبرى مؤلف كتاب «تاريخ مختصر الدول» نقل عن القفطى نقلاً حرفياً ولكنه لخص نصه قليلاً. وما يذكر فى هذا الصدد أن ابن العبرى كما يبدو من اسم الشهر قد تحدر من أصل يهودى ولكن أباه تنصر وشب هو على النصرانية وارتقى فى رتب الإكليروس إلى الأسقفية ثم ألف تاريخاً فى السريانية استخرجه من كتب يونانية وفارسية وعربية وسريانية واستخلص من هذا الكتاب المؤلف بالسريانية كتاباً كُتب بالعربية سماه (مختصر الدول) كما سبقت الإشارة وهو الكتاب الذى وصلنا وفيه تلك الرواية. ومن المؤسف أن يعتبر بعض الكتّاب أن ابن العبرى هو أول من قال بهذه الرواية وينون دفعهم على هذا الأساس.

المقريزى فى خطه نقل هذه الرواية حرفياً وينفس الإسهاب. وحاجى خليفة فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، أشار إلى الرواية على وجه الإجمال فليس فى كتابه مجال للإسهاب وهو لم يذكر مدينة الإسكندرية على وجه التحديد إنما أشار إلى أن «العرب فى صدر الإسلام لم يقنعوا بشيء من العلوم إلا بلفتهم وشرعتهم... ويروى أنهم أحرقوا ما وجدوه من الكتب فى فتوحات البلدان».

وفى هذه العبارة تلخيص للموقف كله وتلميح إلى أمر عمر بن الخطاب بحرقها وسبب ذلك أو تبرير له. وكيف أن هذا السلوك لم يكن خاصاً بمكتبة الإسكندرية وحدها وإنما كان سلوكاً عربياً عاماً لإزاء كتب الأمم المفتوحة.

وقد جاء جورجى زيدان فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين (الرابع عشر الهجرى) وفتح الملف العربى من جديد. وتردد بين مكذب لهذه الرواية أولاً ثم مصدق لها بعد تحليل وتدقيق. وقد ركز همه على تبرئة أبى الفرج ابن هارون الملقب (ابن العبرى) حيث اتهمه البعض بأنه أول من اختلق هذه الرواية تعصباً ضد

الإسلام ونحيزاً للمسيحية التي ألصقت بها هذه التهمة كما ألحنا إلى ذلك من قبل. وقد جاء حديث جورجي زيدان عن تلك الرواية وتحليلاته في نحو سبع صفحات من الجزء الثالث من كتابه «تاريخ التمدن الإسلامي».

هذا على الجانب العربى أما على الجانب الغربى فقد رأينا كيف أن تريتس ذكر خبر المكتبة فى القرن الثانى عشر فى الحاشية التى تحدثنا عنها؛ إلا أن قصة حرق المكتبة لم تتم إثارته فى أوروبا إلا فى القرن السابع عشر وما بعده وتناولها كُتَّاب عديدون ما بين مؤيد ومعارض لحرق العرب لها، مما ليس هنا مجال لتقصيه وسرده. ولكن المشكلة الحقيقية أن أول من قال بحرق المكتبة على يد العرب المسلمين هم عرب ومسلمون ولو لم ترد هذه القصة فى المصادر العربية لما فتح هذا الملف أيضاً ولا تطوت صفحة تلك المكتبة كما انطوت صفحات مكبات أخرى مثل مكتبة رمسيس الثانى وغيرها.

المهم أننا أمام رواية تقول بأن العرب المسلمين قد أحرقوا مكتبة الإسكندرية فهل هى رواية صادقة، أم رواية كاذبة مختلفة من أساسها لسبب أو لآخر؟ هناك من يؤيد تلك الرواية وله دفعوه وأسانيده، وهناك من ينفيها ويكذبها وله أيضاً دفعوه وأسانيده. وفى كلتا الحالتين هى أدلة عقلية استنباطية ليس من بينها دليل نقلى ماضى واحد.

وقبل استعراض دفعه وأسانيده كل من الفريقين أود أن أبرز ثلاث حقائق هامة:

**الأولى:** أن الرد الذى رد به عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص عندما سأله عما يفعل بمجموعات الكتب فى المكتبة وهو «فأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فنقدم بإعدامها». هذا الرد جاءت فحواه أيضاً فى تبرير المسيحيين حرق كتب الوثنية فى نفس مكتبة الإسكندرية فقد ورد فى أعمال الرسل أن الكتاب المقدس فيه الكفاية والغنى عن أى كتاب آخر «إننا كنت تريد تاريخاً فعليك بسفر الملوك وإننا أردت البلاغة فعليك بسفر الأنبياء وإننا كنت تريد الشعر فعليك بالمزامير وإننا أردت فلناً أو قانوناً أو أخلاقاً فقاؤن الرب المجيد».

الثانية: أن العرب المسلمين قد عرفوا فى القرون الأولى للهجرة بوجود مكتبة الإسكندرية فقد أورد ابن النديم فى «الفهرست» معلومات عن هذه المكتبة وعن يحيى النحوى فى أكثر من موضع ولكن الموضع الألفى بالمكتبة نجهد تحت أخبار الفلاسفة الطيبيين عند حديثه عن فيلسوف اسمه إسحق الراهب الذى كان يبحث فى فلسفة اليونان وتاريخهم وأخبارهم وكذلك أيضاً تاريخ الرومان وآدابهم ومن جملة ما ذكره عنهم خبر إنشاء مكتبة الإسكندرية على يد زميرة ونص ما ذكره ابن النديم فى هذا الصدد لا يخرج عما ذكره ابن القفطى «إن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية لما ملك بحث عن كتب العلم وولى أمرها رجلاً يعرف بزميرة فجمع من ذلك على ما حكى أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين وقال له: أيها الملك قد بقى فى الدنيا شيء كثير فى السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم». وإذا كان ابن القفطى قد استخدم نفس العبارات ولكنه أفاض فيها وابن النديم لم يذكر شيئاً عن حريق المكتبة فأغلب ظنى لم يأخذ عن ابن النديم وإنما من مصدر آخر ربما يكون ابن النديم نفسه قد استعمله حيث كانت مكتبة بيت الحكمة فى بغداد مازال عامرة بالمصادر سواء بالنسبة لابن النديم فى القرن الرابع الهجرى أو ابن القفطى وغيره فيما قبل منتصف القرن السابع الهجرى حين أحرقتها التتار وأغرقوها. ويخالفنى الظن بأن العرب عرفوا خبر مكتبة الإسكندرية فى القرن الثانى والثالث للهجرة من المصادر اليونانية التى توسعوا فى الحصول عليها وترجمتها إلى العربية .

الثالثة: أن العرب المسلمين عرفوا يحيى النحوى كما عرفوا مكتبة الإسكندرية وربما ترجموا له كتباً فى القرنين الثانى والثالث للهجرة وقد كتب عنه ابن النديم أيضاً فى الفهرست أى قبل ابن القفطى بثلاثة قرون تقريباً وقد ذكر عنه: «كان يحيى تلميذ شواربى وكان أسقفاً فى بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ثم رجع عما يعتقد النصارى فى الثلاث فاجتمعت الاساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنتسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يدى عمرو بن العاص فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعاً، وقد فسر أرسطليس. وقد ذكرت ما فسره فى موضعه وله



من الكتب كتاب الرد على برقلس، ثمان عشرة مقالة؛ كتاب فى أن كل جسم متناه  
فقوته متناهية، مقالة؛ كتب الرد على أرسطاليس، ست مقالات؛ كتاب تفسير مابال  
لأرسطاليس العاشر، مقالة يرد فيها على نسطورس؛ كتاب يرد فيه على قوم لا  
يعترفون، مقالتان، ومقالة أخرى يرد فيها على قوم آخر. وله تفسير شيء من كتب  
جالينوس نحن نذكر ذلك عند ذكرنا جالينوس. وذكر يحيى النحوى فى المقالة الرابعة  
من تفسيره لكتاب السماع الطبيعى فى الكلام فى الزمان مثلاً قال فيه: مثل مستنا هذه  
وهى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة لدقلطيانوس القبطى. وهذا يدل أن بيتنا وبين يحيى  
النحوى ثلاثمائة سنة ونيف. وقد يجوز أن يكون فسر هذا الكتاب فى صدر عصره لأنه  
كان فى أيام عمرو بن العاص.

إذا وضعنا تلك الحقائق الثلاث والقصة كاملة حسب سياقها الذى أتينا عليه  
فلنستعرض الآراء المؤيدة والمعارضة لهذه الرواية.

أما الذين يتفون عن العرب أنهم حرقوا المكتبة ويرون أنهم أبرياء من دم هذه  
المكتبة فإنهم يسوقون الدفوع الآتية فى هذا الصدد ومنهم عرب وأجانب:

١ - أن العرب عندما دخلوا الإسكندرية لم تكن أى من المكتبات الأم أو الابنة أو حتى  
مكتبة معبد القيصرون موجودة، ولا بد أنها جميعاً قد خرجت من الوجود فى  
قرون سابقة على دخول العرب مصر. ولو كانت تلك المكتبات موجودة وتمثل  
معلماً من معالم الإسكندرية لذكرها الرحالة الذين زاروا الإسكندرية قبل الفتح  
العربى. وكذلك لذكرها المؤرخون العرب المعاصرون للفتوحات الإسلامية من  
أمثال البلاذرى وابن عبد الحكم واليعقوبى. ولو كانت هذه المكتبة موجودة عند  
الفتح فإن الهدنة التى عقدت بين المسلمين والمقوقس عظيم القبط فى شروط  
الصالح كانت تتيح للروم نقلها إذا أرادوا، ذلك أنه سمح لهم بنقل المتاع والأموال  
فى مدة الهدنة وكانت تلك المدة طويلة بما يكفى نقل المكتبة وغيرها.

٢ - أن يحيى النحوى الذى تذكر الرواية أنه أكبر عنصر فيها لم يكن موجوداً على قيد

الحياة عندما دخل عمرو بن العاص للمدينة وإن كان حياً لكان عمره يزيد عن مائة وعشرين عاماً. وقد ذكر أ. ج. بتلر أن هذا الشخص هو يوحنا فيلويونوس وقد عاش في عصر الامبراطور جستيان وكتب ضد المذهب النسطوري حوالى ٥٤٠م ويكاد يكون مستحيلاً أنه عاش حتى الفتح العربى لمصر ٦٤٢م. ومن ثم فإن الرواية تنقض من أساسها.

٣ - أن المؤرخ الاديب يوحنا النيقى (النايقوس) عاصر الفتح العربى لمصر وتحدث عن وقائع ذلك الفتح بالتفصيل دون أن يذكر شيئاً عن إحراق المكتبة ومن غير المعقول الا يتوقف عنده، وقد توقف عند أشياء أقل أهمية.

٤ - لقد زار المؤرخان يوحنا مسكويه وسفرنيوس مصر قبل الفتح الاسلامى وتحدثا كثيراً عن المكتبات فى الإسكندرية ولم يذكر شيئاً عن المكتبة الأم والمكتبة الابنة ولو كانت أيهما على قيد الحياة لذكرها لأهميتها وخطورتها حيث تكون فى ذلك الوقت عمرت ألف عام.

٥ - أن مكتبة الإسكندرية لو كانت موجودة على قيد الحياة عند فتح العرب لمصر لكان عمرها يقترب من الألف سنة. وهذا ضد طبيعة الأشياء وخاصة فى ظل الظروف المضطربة التى عاشتها مدينة الإسكندرية وبالذات منذ القرن الأول بعد الميلاد. أضف إلى ذلك الظروف المناخية طوال تلك الألفية والتى كان من الضرورى أن تفت فى عضد أوراق البردى وخاصة فى ظل الإهمال وانعدام الصيانة. وبالتالي فإن المكتبة لابد وأن تكون قد شاخت قبل دخول العرب مصر.

٦ - أنه لو صحت رواية أن المكتبة كانت موجودة عند دخول العرب إلى الإسكندرية لكانت معظم مجموعاتها من الرقوز لسبين أولهما نقل مجموعة المائتى ألف مجلد من برجاموم وقد أشرنا أنها كانت أساساً من الرقوق وثانيهما الحركة النسخية الكبرى التى حدثت فى القرن الثالث والرابع للميلاد حيث تم إعادة نسخ أو تحميل المادة العلمية التى كانت موجودة على البردى على رقوق أى من وسيط

هش إلى وسيط أقوى وأكثر تحملاً. ومن هنا فإن هذه الرقوق كانت تستعصى على الحريق إلا في ظروف خاصة لا يمكن لعمرو بن العاص في تلك الفترة أن يتعامل معها.

٧ - أن الإسلام يحض على العلم وتكريم أهله والحفاظ على أدواته وهناك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة ما يؤكد ذلك. وقد حرص الحكام المسلمون على إنشاء المكتبات وتشجيع حركة النشر والترجمة ومكافأة المؤلفين والمترجمين بمثل وزن أوراقهم ذهباً. وأن حرق المكتبات والكتب ضد مبادئ الإسلام.

تلك هي أهم دوافع الذين ردوا على الشبهات التي حامت حول العرب المسلمين في حرق مكتبة الإسكندرية.

أما الذين قالوا بحرق العرب للمكتبة فإنهم يبنون نظريتهم على الوجوه الآتية:

١ - أن يحيى النحوي (الغرامايطي) كان حياً عندما دخل عمرو بن العاص إلى الإسكندرية وأنه كان في سن الشباب حسب التحليل الذي قدمه ابن النديم نفسه حيث قال ما نصه «وهذا يدل أن بيننا وبين يحيى النحوي ثلاثمائة سنة ونيف». وقد يجوز أن يكون فسر هذا الكتاب في صدر عمره لأنه كان في أيام عمرو بن العاص<sup>٩</sup>. وزمياً لا يكون يحيى الوارد ذكره في الرواية ليس هو يوحنا فيلوبونس الذي كان ضد عقيدة التثليث والذي تتبع بتر آثاره. ذلك أن اسم يوحنا (يحيى) كان متشرباً في تلك الفترة وصفة النحوي كانت تطلق على اللغويين والأدباء وليست جزءاً من الاسم، وبالتالي ربما يكون يحيى آخر غير الذي عناه بتر والذي نقض به الرواية. ولعل في عبارة ابن النديم ما يفسر ذلك ويؤكد.

٢ - أننا يجب أن نفرق تماماً بين الإسلام كعقيدة تحض على العلم وكل الفضائل الإنسانية وبين حاملي هذه العقيدة الذين قد يخرقونها ولا يحملون بقواعدها تحت وطأة الضعف الإنساني. ويمكن أن نشير هنا إلى غزوة أحد التي ترك المقاتلون

فيها مواقعهم التي تحمي ظهور المسلمين ونزلوا لحصد الغنائم فانقلبت دفة الامور وهزم المسلمون بعد انتصار. ويدخل هنا أيضاً قضية توزيع الغنائم والتميز بين الطوائف المختلفة على أسس عرقية؛ وكذلك الفتن والحروب الداخلية بين المسلمين حتى في العقود الأولى للإسلام في عهد عثمان وعلى بن أبي طالب طلباً للسلطان والملك وعرض الحياة الدنيا. إذن فلا يجب أن يحتج بأن الإسلام يحرم حرق الكتب وتخريب المكتبات لأنه يحض على العلم وتكريم العلماء فكل ذلك جزء من العقيدة وليس من الضروري أن يكون جزءاً من سلوك المسلم.

٣ - أشار ابن خلدون في مقدمته إلى بعض خصال العربي وكيف أنه لا يطبق أن يرى حضارة مزدهرة وأنه يميل إلى تخريبها كلما سنحت له الفرصة. وكان الجنود الذين صحبهم عمرو بن العاص في فتوحاته في مصر من البدو القحح الذين لم تهذبهم الحضارة والمدنية بعد ومن ثم فإنهم لم يقدروا الكتب والمكتبات حق قدرها.

٤ - أن عمر بن الخطاب يمكن فعلاً أن يكون قد أصدر تعليماته المذكورة بحرق المكتبة والكتب باعتبارها من تراث الوثنية وقد أراد بحسه الديني أن يجنب المسلمين كل ما يفتنهم في دينهم. وكما أشرت مراراً من قبل كانت الإسكندرية موطن عقيدة التثليث التي أفسدت الديانة المسيحية وجعلتها هي والوثنية شيء واحد وقد أئتمها القرآن الكريم وكفر معتقياً. ولعمر بن الخطاب سوابق في تحجيب المسلمين كل ما يفتنهم في دينهم فهو الذي أمر بقطع شجرة البيعة التي كان المسلمون يتركون بها، ولا رأى افتتان المسلمين بخالد بن الوليد خشى أن يقدسوه فعزله رغم الانتصارات الساحقة التي حققها ورغم أنه لم يكن في جسمه موضع خال من أثر لرمح أو خنجر ومات على فراشه وكان يتمنى لو مات في ساحة القتال شهيداً. ولا يجب أن ننسى من عمر بن الخطاب ذلك بل يجب أن نبرره بالهدف السامي الذي سعى إليه وأمر الردة في عهد أبي بكر الصديق مشهور معروف.

٥ - تردد في المصادر المختلفة حالات إحراق للمكتبات على يد المسلمين في بلاد أخرى غير مصر. وقد أتى حاجي خليفة في كشف الظنون على بعض الأمثلة فقال بأن المسلمين عندما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم، كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتقبلها للمسلمين فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه وإن يكن ضللاً فقد كفانا الله تعالى فطرحوها في الماء أو في النار فذهبت علوم الفرس فيها. كذلك فإنه في أثناء كلام حاجي خليفة عن «أهل الإسلام وعلومهم» يقول بأنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلدان، وربما كان لذلك صدى عند ابن خلدون مرة ثانية حيث تساءل بقوله «فأين علوم الفرس التي أمر عمر بمحوها عند الفتح». وحاجي خليفة هو الذي قال بأن «العرب في صدر الإسلام لم يقتنوا بشيء من العلوم إلا بلفتهم وشريقتهم».

٦ - أن من سلوك المنتصر في كل العصور - بعد الانتصار العسكري - أن يأخذ في تدمير فكر المهزوم حتى لا تقوم له قائمة بعد ذلك أبداً، ويكون ذلك إما بحرق وسحق الكتب والمكتبات أو بنقل تلك الكتب والمكتبات إلى بلد المنتصر.

ومن المعروف أن الماديات يمكن تعويضها بينما الدعائم المعنوية لا يمكن أن تعوض إلا بعد فترات طويلة وحيث يبدأ المهزوم من جديد. انظر إلى هولاء التتري وما فعله بالمكتبات الإسلامية في المناطق التي اكتسحها في القرن السابع الهجري حيث قيل أنه اتخذ من الكتب جسراً في النهر تعبر عليه قواته ومحوها لما فيها من العلوم بل إنه بنى من تلك الكتب اصطبلات للخيل وطوال للمعالف بدلاً من الأجر والطوب، وانظر إلى صلاح الدين الأيوبي نفسه عندما أمر بتدمير المكتبات الفاطمية في مصر سواء بيت العلم أو مكتبات القصور وكيف أن جنوده كانوا يتزعمون جلود الكتب ليصنعوا منها نعالاً وأحذية لهم. ونفس صلاح الدين الأيوبي فعل بمكتبات الشام نفس ما فعله بمكتبات مصر حتى قيل أن المجموعات التي دمرها قد بلغت في مصر والشام نحو أربعة ملايين مجلد. انظر أيضاً إلى الصليبيين الذين أحرقوا مكتبات الشام

خلال الحروب الصليبية ومكتبة طرابلس تقف شاهداً على ذلك، تلك المكتبة التي ضمت نحو ثلاثة ملايين مجلد وكانت هناك قاعات بأكملها مخصصة للمصحف الشريف وكلما دخل الصليبيون قاعة وجدوا بها المصحف فاعتقدوا أن المكتبة كلها مخصصة للمصاحف فأمر الكونت بترتار سانت جيل بإحراق المكتبة عن آخرها.

وانظر كذلك إلى إيزابيلا وفرديناند اللذين تغلبا على ملوك الطوائف في الأندلس وطردوا المسلمين واليهود منها وأحرقا ما استطاعا حرقه من الكتب والمكتبات الإسلامية في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي.

كذلك فإن هذا السلوك هو أيضاً سلوك مذهبي حيث يعمد أهل ملة معينة أو مذهب بالذات إلى حرق كتب المذهب المعادي حتى يقهروا فكر هذا المذهب، وهذا السلوك ليس سلوكاً إسلامياً فقط وإنما هو موجود كذلك في المسيحية وغيرهما. كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية كانت لا تزال باقية إلى أيامه سنة ٢١٣هـ من مؤلفات المجوس وقد عرضت عليه ولما تبين حقيقتها أمر بإلقائها في الماء وبعث إلى الأطراف أن من وجد شيئاً من كتب المجوس فليعلمه. واضطهاد فكر الشيعة وكتبهم أمر معروف مشهور في التاريخ الإسلامي.

٧ - أن أصحاب الدين الجديد يعتقدون أن دينهم يجب الأديان السابقة عليه ومن ثم فلا بد من عدم معابد تلك الأديان وما بها من كتب ومكتبات تؤيدها وتساعد أنصارها على فهمها والتمسك بها. وقد أشرنا من قبل أن أباطرة الروم بعد أن اعتنقوا المسيحية تصبوا لها - بعد أن كانوا أعداءها للدودين - وأمروا بهدم المعابد التي أقيمت قبل المسيحية وأحرقوا ما بها من مكتبات. ومن ثم فإن سلوك المسلمين إزاء مكتبة الإسكندرية ليس بغيره عن سلوك أصحاب الديانات الجديدة. وربما كانوا يعتبرون ذلك قرأً إلى الله.

٨ - لقد انتشرت بين بعض علماء المسلمين ظاهرة من أغرب ظواهر السلوك إزاء الكتب والمكتبات وهي ظاهرة حرق وغسل ودفن الكتب. فالعالم منهم يظل طول حياته

يجمع الكتب ويكدسها في مكتبته الشخصية ويتفق عليها بسخاء بل يستدين ويقترض ويوهن ممتلكاته في سبيلها حتى تنفخم وتصبح «ملء بيت إلى السقف» أو «تحمّل على أربعمائة بعير» وغير ذلك من العبارات الدالة على حجم المكتبة وفي نهاية حياته يحملها إلى شاطئ النهر ليغسلها أو يحملها إلى الصحراء ليحرقها أو يدفنها هناك والامثلة على ذلك كثيرة جداً مثلما فعل أحمد بن أبي الحواري، وسفيان الثوري، وأبو عمرو بن العلاء بل وأبو حيان التوحيدي نفسه وغيرهم مثلاً. وفي تعليل تلك الظاهرة يقال بأن العالم منهم قد يرى في نهاية عمره أن الكتب قد ألهمته عن ذكر الله فيقرر التخلص منها أو كما قال أبو حيان التوحيدي «لم أشأ أن أجعل الهم همين»، كما كان بعض العلماء يخشى أن تقع تلك الكتب في أيدي من يسيئون استخدامها، وبعض العلماء يتخلص من مكتبة ضناً بها على من لا يستحقون من الأجيال التالية.

٩ - أن الرواية المذكورة حتى ولو كانت فيها مبالغة فإنها لا بد وأن تنطوي على بلرة الحقيقة ولا يمكن عقلاً أو منطقاً أن تكون من أولها إلى آخرها محض اختلاف من عدم. ومن غير المعقول أن يكون كل هذا التواتر لقصة خيالية لا أساس لها من الصحة والواقع كما ذهب أ. ج. بتلر.

تلك إذن هي أهم الأدلة العقلية الاستنباطية التي يسوقها أصحاب الرأي الذي يميل إلى تصديق رواية حرق العرب لمكتبة الإسكندرية. وأرد أن أؤكد في نهاية هذه المعالجة أن باب الاجتهاد ما زال مفتوحاً وأن الكلمة النهائية الحاسمة لم تعلن بعد وربما يوجد علينا الزمن بأدلة ثقلية تحسم هذه القضية فقد تكشف الحفريات عن مكتبة الإسكندرية الأم أو عن مكتبة معبد السيلايوم أو مكتبة القيصرين مطمورة مغمورة في باطن أرض الإسكندرية كما حدث في مكتبات العراق القديم ومكتبة بروجاموم أو مكتبة الهيركلايوم. ساعته سوف نقفل باب المناقشة والاجتهاد وسد الستار على أعظم مكتبات العالم حتى بداية القرن العشرين الميلادي.





## الفصل الخامس

### مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية

ربما تبدأ المشروعات العظيمة بالصدقة أو بحماس رجل واحد، ومشروع إحياء مكتبة الإسكندرية هو من هذا النوع الذى بدأ بحماس شخص معين فقد كان أحد أساتذة جامعة الإسكندرية فى زيارة لمكتبة الكونغرس وقابل مدير تلك المكتبة العالمية التى ليس لها مثل فى التاريخ سوى مكتبة الإسكندرية القديمة. ويبدو أن انهيار أستاذ جامعة الإسكندرية بمكتبة الكونغرس جعله يربط أثناء تلك الزيارة التى وقعت فى منتصف السبعينات من القرن العشرين بين مكتبة الكونغرس ومكتبة الإسكندرية القديمة وتطرق الحديث إلى المقارنة بين عالمة كلتا المكتبتين، ثم دأب أستاذ جامعة الإسكندرية مدير مكتبة الكونغرس - دانييل بروستين آنذاك - وقال له لماذا لا نحى مكتبة الإسكندرية القديمة وفى نفس المكان وأخذ مدير مكتبة الكونغرس الدعاية على محمل الجلد ومن هذه النقطة بدأ التفكير الجدى فى مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة. وقد أبدى دانييل بروستين (مدير مكتبة الكونغرس ١٩٧٤ - ١٩٨٧) استعداد مكتبة الكونغرس للقيام بدور فعال ودولى فى هذا الصدد وابتداءً من يونيو ١٩٧٦م فى إعداد ملف خاص بالموضوع وأرسل بذلك مذكرة إلى مدير منظمة اليونسكو فى باريس وطلب اعتبار هذا المشروع مهمة دولية تقوم بها المنظمة. وكان لابد لجامعة الإسكندرية ورئيسها فى ذلك الوقت أ. د. محمد لطفى دويدار، من أن تقوم بدورها باعتبار أن الفكرة نبتت من داخلها وإن أستاذًا بها هو الذى طرح الموضوع ونظرت جامعة الإسكندرية آنذاك إلى المشروع على أنه مشروع محلى سكندرى بحث. وفى سنة ١٩٨٠ بدأ طرح المشروع على نطاق أوسع ودخلت فيه أطراف عديدة وكانت الفرصة مواتية حيث كانت مصر تحتفل بإنقاذ معبد أبو سمبل لإقامته فى موقعه الجديد أمام تمثيلين من دول العالم المختلفة.

تبرعت جامعة الإسكندرية بقطعة الأرض التى ستقام عليها المكتبة وكذلك بمركز

المؤتمرات المقام فعلاً إلى جوار تلك الأرض. وقام خبراء من منظمة اليونسكو بزيارة جامعة الإسكندرية، كما قام بعض أساتذة جامعة الإسكندرية بزيارة للمنظمة الدولية في باريس لتسويق المخطط الرامية لإحياء فكرة المكتبة ومراجعة تلك المخطط والاتجاه بها صوب الدولية. وتوفر الفريقان على إعداد دراسات الجدوى وإعداد التقارير الخاصة بالاستعدادات اللازمة لهذا العمل سنة ١٩٨٧. وفي العام التالي سنة ١٩٨٨ صدر النداء الدولي لدعم ومساندة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية. وكان مدير اليونسكو في ذلك الوقت أحمد مختار أمبو قد قام في فبراير ١٩٨٦ بزيارة إلى جامعة الإسكندرية لوضع صياغة النداء الدولي، ودعا المجلس التنفيذي لليونسكو في دورته التي عقدت في يونيو ١٩٨٦ إلى التعاون مع الحكومة المصرية في إعداد وتنفيذ المشروع وتمويل دراسة الجدوى المشار إليها. وفي أكتوبر ١٩٨٧م أصدر المؤتمر العام لليونسكو موافقة على صيغة النداء الدولي لدعم المشروع وطبع هذا النداء وصيغ بخمس لغات هي العربية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية؛ وقد وجه النداء في مطلع سنة ١٩٨٨ إلى الدول والمنظمات والأفراد في جميع أنحاء العالم.

وفي يونيو ١٩٨٨ توج هذا النداء بوضع حجر الأساس لهذا المشروع العظيم وقد وضع الحجر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك والمدير العام الجديد لليونسكو فيليريكو مايور الذى خلف أحمد مختار أمبو.

ويعتضى هذه الخطوات خرج المشروع من المحلية وأصبح مشروعاً وطنياً مصرياً ولم تعد جامعة الإسكندرية هي المشرقة عليه ولكن أصبح المشرف عليه هو وزارة التعليم العالي مع تمثيل منظمة اليونسكو الدولية. وكان لابد من أن يأخذ هذا المشروع بعده الدولي ويعلن عنه في احتفال يليق بالعمل التاريخي هذا.

عقد اجتماع دولي في مدينة أسوان في صعيد مصر ١١ - ١٢ من فبراير ١٩٩٠ وأعلن عن بدء المشروع فيما عرف بإعلان أسوان، وفتح باب التبرعات وجاءت التبرعات في حينها من مصادر مختلفة، وقد حدد تاريخ الافتتاح في شهر يوليو ١٩٩٥.

## الإدارة والتنظيم في مكتبة الإسكندرية الجديدة

قدرت تكاليف مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية بنحو ١٦٠ مليون دولار. وقد جاءت المساهمة المصرية على شكل قطعة الأرض ومبنى مركز المؤتمرات، وقدرت هذه المساهمة بحوالى ستين مليون دولار: قطعة الأرض التى تبلغ مساحتها أربعين ألف متر مربع بقيمة أربعين مليون دولار (أى ألف دولار للمتر الواحد المربع) ومبنى مركز المؤتمرات الذى قدرته قيمته بنحو عشرين مليون دولار. وترك للمساهمات الدولية الأموال السائلة والتى تقدر بمائة مليون دولار تم جمع ٦٤ مليوناً منها فى نفس يومى اجتماع أسوان التاريخى ١١ - ١٢ من فبراير ١٩٩٠م، وهو مبلغ المساهمة العربية وحدها وقد جاءت تبرعات مالية من جهات مختلفة دولية ومحلية ومن أفراد محليين ودوليين بما يرفع المبلغ المتحصل كثيراً مع فوائد البنوك ليصل إلى الميزانية المستهدفة بداية. والذي نريد أن نخلص إليه هو أن المشروع لا تعوزه الموارد لا المادية ولا المالية ولا البشرية. وليس هناك مبرر لتأخر افتتاح المكتبة.

ولعله من نافلة القول أنه فى ١٤ من ديسمبر ١٩٨٨ (الرابع من جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ) صدر قرار رئيس الجمهور بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية وهو القرار الذى وضع الخطوط العريضة لعمل الهيئة التى تتبعها المكتبة. وحيث يجدر بنا أن نشير أيضاً إلى عدم وجود لوائح داخلية تنظم عمل المكتبة أو ترسم خطوط التنظيم الداخلى لها. (انظر نص القرار الجمهورى فى نهاية هذا الفصل).

وتحدد المادة الثامنة من هذا القرار موارد الهيئة على النحو الآتى:

- ١ - ما تدرجه الدولة من اعتمادات لها فى الموازنة.
- ٢ - الإعانات والتبرعات والهيئات والرعايا والإسهامات الداخلية والخارجية.
- ٣ - القروض التى تعقد لصالح الهيئة.
- ٤ - مقابل الخدمات التى تقدمها الهيئة.
- ٥ - عائد استثمار أموال الهيئة.

٦ - أية موارد أخرى تتقرر للهيئة .

كما نصت المادة التاسعة من نفس القرار على أن تكون للهيئة موازنة خاصة فى إطار الموازنة العامة للدولة وتبدأ السنة المالية للهيئة ببداية السنة المالية للدولة وتنتهى بنهايتها، ويفتح حساب خاص للهيئة بالبنك المركزى المصرى أو بأحد البنوك التجارية بموافقة وزارة المالية تودع فيه أموالها ويرحل فائض هذا الحساب من سنة إلى أخرى .

وقد حددت المواد الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة عناصر إدارة هيئة مكتبة الإسكندرية؛ فقد نصت المادة الرابعة على تشكيل مجلس الإدارة من قبل مجلس الوزراء على النحو الآتى:

- وزير التعليم (العالى) رئيساً .
- رئيس جامعة الإسكندرية نائباً للرئيس .
- محافظ الإسكندرية أو من ينوبه .
- ثلاثة من الأساتذة بجامعة الإسكندرية يختارهم مجلس الجامعة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .
- ممثل لكل من وزارات الثقافة والإعلام والسياحة والتعليم العالى والتربية والتعليم الخارجية يختارهم الوزراء المختصون أعضاء .
- عدد لا يجاوز خمسة من الشخصيات العامة ممن لهم مكانة خاصة فى مجال الثقافة والفكر يختارهم وزير التعليم (العالى) وذلك لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .
- مدير الهيئة .

ولمجلس الإدارة أن يشكل لجأتاً من أعضائه للقيام بدراسات أو أبحاث أو مهام معينة وله أن يعهد إليها ببعض اختصاصاته . وللمجلس أن يفوض مدير الهيئة فى القيام بمهمة محددة . وتحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء المكافآت التى تصرف لأعضاء مجلس الإدارة .

كما نصت المادة الخامسة على أن مجلس الإدارة هو السلطة المهيمنة على شئون

الهيئة وتصريف أمورها وإقرار السياسة التى تسير عليها وله اتخاذ ما يراه لازماً من قرارات لتحقيق الغرض الذى أنشئت الهيئة من أجله وذلك فى حدود السياسة العامة للدولة فى مجال العلم والفكر وتنمية القيم الإنسانية والحضارية وله على الأخص ما يلى:

١ - إصدار اللائحة الداخلية للهيئة واللوائح المنظمة للشئون العلمية والإدارية والفنية. ويكون إصدار اللوائح المالية بعد موافقة وزارة المالية.

٢ - إقرار الخطط اللازمة لإتمام تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية والعمل على تدليل ما يعترضه من عقبات.

٣ - وضع اللوائح المتعلقة بشئون العاملين وتحديد مرتباتهم ومكافآتهم دون التقيد بالنظم الحكومية، مع مراعاة الحدود القصوى للمرتبات المنصوص عليها فى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة.

٤ - وضع الهيكل التنظيمى للهيئة وجداول الوظائف بها.

٥ - إجراء الاتصالات بالهيئات وبالدول الأجنبية والمؤسسات العامة والشخصيات البارزة التى تهتم بتنفيذ المشروع لدعوتها للمساهمة فيه بالأساليب التى تترأى لها وقبلها مجلس الإدارة.

٦ - قبول الإعانات والهبات والتبرعات والوصايا والإسهامات الداخلية منها والخارجية التى تتفق مع أغراض الهيئة وذلك فى حدود النظم المقررة.

٧ - النظر فى التقارير الدورية التى تقدم عن سير العمل بالهيئة ومركزها المالى.

٨ - الموافقة على مشروع الهيئة وحسابها الختامى.

٩ - مباشرة جميع التصرفات اللازمة لإدارة الهيئة.

١٠ - النظر فى كل ما يرى رئيس مجلس الإدارة عرضه من مسائل تدخل فى اختصاص الهيئة وتعرض قرارات مجلس الإدارة على وزير التعليم لاعتمادها.

وجبراً لحاظ جامعة الإسكندرية ولأن المشروع قد سحب منها وأضيفت عليه الصيغة الوطنية العامة فقد نصت المادة السادسة من القرار الجمهورى على أن تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علمياً وأكاديمياً وفقاً للنظم التى يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس جامعة الإسكندرية.

ونصت المادة السابعة على تعيين مدير للهيئة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض من وزير التعليم العالى ويتضمن القرار تحديد مرتباته وبدلاته. ويكون مدير الهيئة مستولاً عن تنفيذ سياسة الهيئة التى يخطها مجلس الإدارة ويتولى متابعة تنفيذ قراراته وتصريف شئون الهيئة وفقاً للقانون ولاحكام هذا القرار وتحت إشراف مجلس الإدارة وفى حدود الاختصاصات الأخرى المخولة له فى لوائح الهيئة.

وحتى تكتسب الإدارة شيئاً من الدولية وانسجاماً مع ما جاء فى القرار الجمهورى من أن مجلس إدارة الهيئة له سلطات تشكيل لجان دائمة وموقته لأغراض محددة شكلت لجنة دولية تحت اسم «اللجنة التنفيذية الدولية» وتتألف هذه اللجنة من خمسة مصريين على حسب مناصبهم: وزير التعليم العالى (رئيس مجلس إدارة الهيئة) ويكون رئيساً للجنة؛ مستشار وزير التعليم العالى، رئيس جامعة الإسكندرية؛ نائب رئيس مجلس الدولة، رئيس هيئة الاستعلامات. وهناك أعضاء تمدهم دولهم وهم: اليونان - فرنسا - إيطاليا - عمان - السعودية - تركيا - الإمارات - الولايات المتحدة بالإضافة إلى ممثل اليونسكو فى اللجنة.

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم تشكيل هذه اللجنة التنفيذية الدولية للمشروع بناء على اتفاق عقد بين مصر ومنظمة اليونسكو وقد صدق على ذلك التشكيل مجلس الشعب فى مصر وذلك فى شهر فبراير ١٩٩٢. وقد باشرت اللجنة عملها بعد ذلك مباشرة وعقدت أول اجتماع لها ١٩٩٢/٤/٢٦ فى مركز المؤتمرات بالإسكندرية وتوصلت فى ذلك الاجتماع إلى:

١ - الإحاطة بقرارات تعيين رئيس اللجنة التنفيذية الدولية ومدير المشروع ونائب مدير المشروع.

ب - الموافقة على الهيكل التنظيمى للأمانة التنفيذية لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية  
وهى الجهاز المنوط به تنفيذ قرارات اللجنة والإشراف على تنفيذ المشروع.

ج - الموافقة على خطة وبرنامج العمل فى المشروع على المدى الطويل ١٩٩٢ - ١٩٩٦  
من حيث المبدأ والذي قدرت تكاليفه المبدئية فى ذلك الاجتماع بنحو ١٧١ مليون  
دولار.

د - الموافقة على الموازنة المبدئية التقديرية لعام ١٩٩٢، وأن يتم الصرف على البنود  
الواردة حسب المصروفات الفعلية لكل بند.

هـ - تشكيل لجتين فرعيتين: الأولى لدراسة وإقرار مشروع التعاقد المقدم من المكتب  
الهندسى الترويجى «سنوهيتا» لإعداد تصميمات المشروع الهندسية؛ والثانية  
لدراسة مجالات المجموعات التى تغطيها المكتبة والأنشطة الثقافية التى سوف  
تمارسها المكتبة.

و - الموافقة على شراء ١٥٠٠ م<sup>٢</sup> مبنى كمقر للأمانة التنفيذية والهيئة العامة لمكتبة  
الإسكندرية ولإدارة المكتبة كى تجمع فيها المجموعات وتعددها تمهيداً لتسكينها فى  
المكتبة عندما يكتمل مبناها. وقد تم شراء هذا المسطح فى أحد العقارات وسط  
مدينة الإسكندرية.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ دولا ب العمل بالمكتبة فى أعمال التنفيذ الفعلية ومباشرة  
الصلاحيات المخولة له فى القرار الجمهورى ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨.

وتضرب إدارة الهيئة ستاراً كثيفاً على عدد العاملين الآن فى المشروع ومؤهلاتهم  
والأعمال التى تم إنجازها والأعمال التى هى قيد الإنجاز.

### **الموقع والمبنى والتجهيزات**

كانت هناك مجموعة من الاقتراحات لاختيار مكان لإقامة مكتبة الإسكندرية خارج  
إطار حرم المدينة الحالية وذلك للحصول على مساحة كبيرة من الأرض تسمح بالتوسع

المستجلى وتوفير الضوء والتهوية الطبيعية وليس من الضروري أن يسهل الوصول إليه. ولكن جامعة الإسكندرية قلمت قطعة من الأرض تملكها إلى جانب مركز المؤتمرات القائم بالفعل وكان مبرر ذلك أن تلك البقعة هى نفسها التى يعتقد أنها كانت تضم المكتبة القديمة والمتحف. تبلغ مساحة الأرض التى قلمتها الجامعة أربعين ألف متر بما فى ذلك مبنى وأرض مركز المؤتمرات (أى حوالى تسعة أقدنه ونصف) وذلك على كورنيش المدينة بالسلسلة بحيث يحد الموقع الكورنيش فى مواجهة الميناء الشرقى وعلى امتداد البصر قلعة قايتباى على ما يعتقد أنه جزء من جزيرة فاروس القديمة. وعبر شارع بور سعيد نجد المجمع النظرى لجامعة الإسكندرية (كليات الآداب الحقوق - التجارة - التربية). وفى مبنى مركز المؤتمرات نجد مسارج وقاعات اجتماعات مجموع طاقاتها نحو ٣٢٠٠ مقعداً.

وبعد تحديد الموقع على هذا النحو ووضع حجر الأساس كما ألحقت فى شهر يونيو ١٩٨٨م، طرح مبنى المشروع فى مسابقة دولية للتصميم المعماري، وقد قدم برنامج الأمم المتحدة مبلغ ٦٠٠ ألف دولار لتمويل تلك المسابقة الدولية بالاشتراك مع الاتحاد الدولى للمعماريين.

ولقد تقدم إلى هذه المسابقة حوالى ١٤٠٠ معمارى متسابق من ٧٧ دولة وقد وقع اختيار لجنة التحكيم على المشروع المقدم من الشركة النرويجية والذى فاز بالجائزة الاولى وقدرها ستون ألف دولار والمشروع النرويجى يدخل فيه ثلاثة نرويجيون وأمريكى ومصرى وإستراالى. وهذا المشروع الفائز يجعل تصميم المكتبة على شكل قرص الشمس الغارب فى الماء ويجعل سطح المكتبة كلاً واحداً متحدراً متدرجاً بمناسيب محددة بحيث يتمتع المبنى كله بضوء النهار ويمكن لمن يقف على حافة القرص المنحدر أن يرى جميع جوانب المبنى. وسطح المكتبة كله من الزجاج وجدار المكتبة المنخفض جداً من ناحية البحر والمرتفع جداً من ناحية المجمع النظرى لجامعة الإسكندرية، أصم ليست به فتحات أو نوافذ بأى حال من الأحوال ويكسى هذا الجدار



بنقوش هيروغليفية وحروف الأبجديات المختلفة. ويعكس التصميم الخارجى هذا شكل التصميم الداخلى حيث لجمه عبارة عن مستويات متعاقبة فى الارتفاع تقوم على أعمدة هى الأخرى متعاقبة الارتفاع بنفس القدر وبـحيث يكشف كل صف من الأعمدة عن بداية طابق جديد من الناحية النظرية فقط لأنه من الناحية العملية لا توجد طوابق فعلاً. وإذا كانت المكتبة كلها تتمتع بضوء الشمس نهاراً فإنها ليلاً تضاء من سقف واحد.

وكانت لجنة التحكيم التى شكلتها الجهات الراعية الثلاث للمشروع (مصر - اليونسكو - برنامج الأمم المتحدة للتنمية)، قد وضعت مجموعة من المعايير لاختيار المشروع الفائز ومن بين تلك المعايير:

أ - علاقة التصميم المعمارى بالصورة العامة للمدينة والموقع المحدد للمكتبة.

ب - انسجام التصميم مع الموقع والبيئة للحيطه به.

ج - الشكل والطراز المعمارى للمبنى عندما يقام.

د - التصميم الوظيفى العام.

هـ - الإمكانية الاقتصادية لتنفيذ التصميم.

و - المكونات الرمزية للمبنى من الداخل.

لقد كان هناك تفكير فى أن يكون تصميم المكتبة الجديدة على غرار شكل مبنى المكتبة القديمة التى بنيت فى القرن الثالث قبل الميلاد ولكن أثبتت عدة مشاكل أمام هذا النوع من التفكير من بينها أنه لم يصلنا أى تصميم متكامل للمكتبة القديمة وكل ما لدينا مجرد تخمينات وقياسات، كما أن تصميم المكتبة القديمة كان يتمشى بالضرورة مع الطراز المعمارى السائد فى مدينة الإسكندرية وربما سائر المدن الجديدة فى عموم الامبراطورية. ومن هنا كان لابد من أن يأتى تصميم المكتبة الجديدة مراعيًا لظروف الوقت الذى تقوم فيه وظروف المكان الذى تنشأ فيه؛ وفى نفس الوقت يكون تصميمًا فريدًا جليدًا فذاً بين أقرانه من تصميمات المكتبات العالمية فى زماننا.

ورغم فوز المشروع الترويجي في المسابقة إلا أنه كانت هناك بالضرورة بعض الانتقادات الموجهة له وهو أمر طبيعي ولذلك قامت الشعبة القومية لليونسكو في مصر بعقد ندوة قومية عن مشروع إحياء المكتبة في فندق فلسطين بالإسكندرية وذلك لمناقشة المشروع الفائز والنظر في الانتقادات الموجهة له. وقد ضمت الندوة نخبة من كبار أساتذة العمارة والهندسة المدنية في الجامعات المصرية والهيئات والمؤسسات المعنية ببحوث البناء والإسكان والتخطيط. وحضر أيضاً لفيف من الخبراء في العمارة والهندسة المدنية، وكان لا بد من تواجد ممثلين عن منظمة اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية والاتحاد الدولي للمعماريين. ولقد قام الحاضرون على مدى عشر ساعات بإبداء آرائهم ومناقشة المشروع الفائز وكانت الملاحظات تدور أساساً حول الجوانب الإنشائية والمعمارية والتخطيط الحضري وعلاقة التصميم بالمواقع المحيطة والبيئة الحضرية. وقد أبدى الفريق الترويجي استعداده التام لأخذ تلك الملاحظات في الاعتبار عند التنفيذ الفعلي للمبنى.

وفي الحقيقة أنه حتى كتابة هذه السطور لم يتم من المبنى سوى الهيكل الخرساني فقط وعلى الجدران من الخارج بدأت الرسومات الفرعونية والكتابات الهيروغليفية وأبجديات الشعوب المختلفة في الظهور على تلك الجدران الصماء المرتفعة المظلة على شارع بورسعيد في مواجهة المجمع النظري لجامعة الإسكندرية. أما في داخل المبنى فلم يحدث أي شيء على الإطلاق.

ونحن لا نستطيع والحالة هذه أن نقدم أية معلومات عن التنظيم الداخلي أو التصميم الداخلي وتوزيع الأقسام والإدارات والشعب على المبنى من الداخل وكل ما نملكه تصور مبدئي للهيكل التنظيمي للمكتبة قد ينفذ بعد الافتتاح أو قد يظهر أنه غير قابل للتنفيذ.

يتنضم التنظيم الداخلي إلى قطاعين كبيرين هما قطاع الخدمات العامة وقطاع المرافق الداخلية. وتحت كل قطاع تصادف عدداً من الإدارات. تحت الخدمات العامة نجد:

١ - إدارة الأنشطة الثقافية.

٢ - إدارة مجموعات الكتب والدوريات.

٣ - إدارة للمجموعات الخاصة.

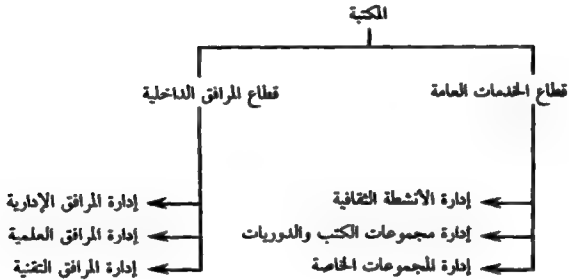
وتحت المرافق الداخلية لمحد:

١ - إدارة المرافق الإدارية.

٢ - إدارة المرافق العلمية.

٣ - إدارة المرافق التقنية.

ويمكن تصوير هذا التنظيم فى الشكل الآتى :-



ومن الجدير بالذكر أن الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية سوف تضم أيضاً مهنياً لتعليم علوم المكتبات والمعلومات ويظهر فى أوراق الهيئة تحت تسمية «المدرسة الدولية لعلم المعلومات». وكان المقروض أن تفتتح المدرسة منذ بداية المشروع فى نحو سنة ١٩٩٢ / ١٩٩٣ ولكن رغم وضع مقررات المدرسة وتصور أسلوب الدراسة والتدريس والمستوى الأكاديمى إلا أنه لم تتخذ أية خطوات عملية فى هذا الاتجاه لأسباب نفسية وإدارية.

وإذا عدنا للهيكل التنظيمي للمكتبة، سوف نجد أن إدارة الأنشطة الثقافية يقصد بها أن تقوم بدور العلاقات العامة والدعوة المكتبية وجذب الجمهور القارئ إلى المكتبة ومن الأنشطة المقررة لهذه الإدارة إقامة معارض الكتب والأجهزة والمواد المكتبية المختلفة سواء الدائمة أو المؤقتة؛ وتنظيم المناسبات المختلفة مثل الحفلات الموسيقية والمحاضرات الثقافية والندوات والمؤتمرات... ونجد في أوراق المكتبة أن هذه الإدارة سوف تنطلق في أنشطتها من قاعة فسحة أو داخل مبنى مركز المؤتمرات، حيث تذكر الأوراق أن أحد منافذ قاعة بطليموس سيفضي إلى المكتبة الرئيسية عبر عمر واحد مراقب يطل على قاعة كاليماخوس. وتذكر أوراق المكتبة أيضاً أن المبنى سوف يضم متحفاً للخطوط و مواد الكتابة وتاريخ العلوم ومتجرًا لبيع الكتب والأدوات والقرطاسية كما قامت بالفعل خارج مبنى المكتبة القبة السماوية على غرار الجناح أو المرصد الفلكي في المكتبة القديمة.

وفيما يتعلق بإدارة مجموعات الكتب والدوريات تذكر أوراق المكتبة أنه سوف تخصص في بهو المكتبة مساحة مركزية للفهارس وقواعد البيانات البيبلوجرافية والإعارة والاستعلامات. وحول هذه المساحة تقسم مجموعات الكتب والدوريات إلى خمسة أركان (أقسام) على النحو الآتي:

- ١ - المراجع عامة ومتخصصة.
- ٢ - الجغرافيا والتاريخ والأثار والتراجم.
- ٣ - العلوم الاجتماعية والفنون وتاريخ العلم.
- ٤ - اللغات والأدب.
- ٥ - العلوم البحتة والتطبيقية (التكنولوجيا).

أما إدارة المجموعات الخاصة فإنها سوف تختص بالمواد خارج الكتب والدوريات وقد حددت مبدئياً على أنها تقع في الفئات الأربعة الآتية:

أ - المواد السمعية البصرية والإلكترونية وأجهزة استعمالها.

ب - المخطوطات والكتب النادرة أى أوائل المطبوعات، والوثائق ذات القيمة.

ج - الخرائط بكل أنواعها وفتاتها: جغرافية على اتساعها وجيولوجية وأثرية وغيرها.

د - الموسيقى سواء القطع المسجلة أو المدونات (التونات) الموسيقية نفسها.

وعندما نمود إلى تقسيم قطاع المرافق الداخلية فسوف نجد فيه ثلاث إدارات نختص إحداها بالشئون الإدارية: السكرتارية، الموظفون، الاتصالات والنقل، الشئون المالية. أما إدارة المرافق العلمية فإنها تعنى كما تشير أوراق المكتبة بأعمال الاقتناء والتزويد والفهرسة والتصنيف والتحصيل الأكلي، أى أنها تضم فيما نقول أقسام الإعداد الفنى وبناء مجموعات المكتبة. وإدارة المرافق التقنية تقوم بنوعين من الأعمال: تجليد وصيانة المجموعات وترميمها وصيانة الآلات والأجهزة وإعدادها للتشغيل؛ كافة الأعمال المتعلقة بالبنى نفسه من صيانة إلى نظافة إلى أمن إلى إحلال...

ولم ننف حتى الآن على موقع تلك الإدارات والأقسام على خريطة التنظيم الإدارى والتوزيع على المبنى، هل ستكون فى مركز المؤتمرات أم داخل مبنى المكتبة نفسه؟

### هوية المكتبة والمجموعات

وضع تصميم المبنى فى المساحة المحددة له على أساس أن يتسع لأربعة ملايين مجلد، على أن تفتح المكتبة بمائتى ألف مجلد كتب وألف وخمسمائة دورية، على أن تنمو المجموعات مع السنوات حتى تكتظ المكتبة من آخرها بالملايين الأربعة من المجلدات كأقصى طاقة مقدرة لها. ويجب أن نلاحظ أنه لا توجد أية فرصة للمكتبة كى تتوسع مستقبلاً إلا إذا استولت على مبنى المستشفى الجاور لها وهدم المستشفى ونقل إلى مكان آخر أو استولت على مباني المجمع النظرى للجامعة فالبحر من أمامها والمجمع النظرى من خلفها والمستشفى من يمينها وشوارع سوتير من يسارها.

والمشكلة الكبرى التى واجهت المسؤولين واللجنة التنفيذية الدولية عند التفكير فى إقامة المكتبة هى تحديد هوية أو شخصية المكتبة وتأطير هذه الهوية وتنظيرها، أو بمعنى

آخر تسكين هذه المكتبة داخل فئة من الفئات المعروفة للمكتبات، وتحديد أهداف معينة تسعى المكتبة إلى تحقيقها؛ ولما لجأ المسئولون إلى حل حاسم لهذه المشكلة وتحديد قاطع لهوية المكتبة اتفقوا على ترك هذه القضية ولتقم المكتبة أولاً ثم تكون لنفسها هوية وقد انعكس ذلك كاوضح ما يكون على القرار الجمهورى الذى صدر بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية حيث يقول ذلك القرار فى مواده الثلاثة الأولى:

١ - تنشأ هيئة عامة تسمى الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية تكون لها الشخصية الاعتبارية ومقرها مدينة الإسكندرية وتتبع وزير التعليم (العالى).

٢ - تهدف الهيئة إلى تنفيذ وإدارة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة لتكون مكتبة عالمية ومركزاً للإشعاع الثقافى والفكرى فى خدمة البحث العلمى وتحتوى على كل ما أنتجه العقل البشرى فى أية صورة متاحة من شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، فضلاً عن إجراء الدراسات المتصلة بالاسس التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الاوسط بصفة عامة والمدينة الإسكندرية بصفة خاصة.

ومن الواضح أن هذه المادة الثانية من القرار الجمهورى قد صيغت صياغة فضفاضة أقرب ما تكون إلى الخطب المنبرية بحيث لا يمكن تكوين هوية للمكتبة بناء عليها ويمكن تحليل عناصر هذه المادة على النحو التالى:

أ - مكتبة عالمية.

ب - مركز للإشعاع الثقافى والفكرى فى خدمة البحث العلمى.

ج - تحتوى على كل ما أنتجه العقل البشرى بجميع صوره من كل الحضارات القديمة والحديثة، بجميع اللغات.

د - إجراء الدراسات المتصلة بتاريخ وجغرافية وثقافة مصر والشرق الاوسط عموماً ومدينة الإسكندرية خاصة.

وإذا نظرنا فى أى من هذه العناصر فإن المكتبة بتصميمها وظروفها التى وضعت فيها لا يمكن بحال من الاحوال أن تقى به وحيث لا يمكن أن تكون عالية تجمع كل ما أنتجه العقل البشرى بكل صوره فى كل العصور ويجمع اللغات. ذلك أنه فى العام الواحد ينتج العقل البشرى:

مليون كتاب (يضاف إليها ما يقرب من ٣ مليون تقرير علمى ذات نشر محدود).

نصف مليون دورية (بصرف النظر عن الأعداد السنوية لكل دورية).

٢ مليون مصغر فيلمى.

٢ مليون مادة سمعية بصرية.

١٥٠,٠٠٠ ملف حاسبات آلية.

٥٠,٠٠٠ قرص ليزر.

وعدد اللغات التى يصدر بها هذا الإنتاج يصل تصفياً إلى ٣٠٠ لغة (من أصل أربعة آلاف لغة يتكلمها سكان العالم).

ومن هذه الحسبة البسيطة فإن المكتبة لو حرصت على هذا الكل فسوف تمتلئ. من آخرها فى ثلاث سنوات فقط.

وكما جاءت المادة الثانية فضفاضة إعلامية أكثر منها علمية فقد جاءت المادة الثالثة من نفس القرار فضفاضة واسعة دعائية تقصر عن الوفاء بها ظروف المكتبة وإمكاناتها على النحو الذى سردناه سابقاً.

تقول المادة الثالثة بأن للهيئة فى سبيل تحقيق أغراضها مباشرة جميع الأعمال المتصلة بأنشطتها ولها على الأخص ما يأتى:

١ - الحصول على ما هو متاح من الكتب واللواريات والمخطوطات أو مصوراتها بأنواعها المختلفة خاصة عماله صلة بالتراث العلمى والفكرى للبلاد الكاتنة على حوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط.

- ٢ - الحصول على الدراسات الخاصة بالحضارة المصرية فى جميع العصور وتجميع كل المنشورات البردية والنقوش الكتابية فى اللغات المختلفة سواء المصرية القديمة أو اليونانية أو اللاتينية أو الآرامية أو القبطية أو العربية أو غيرها.
- ٣ - الحصول على المخطوطات أو مصوراتها باللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية واللغات الشرقية الأخرى التى تضم الإنجازات الفكرية للعالم الإسلامى.
- ٤ - تكوين مجموعات خاصة بالدراسات الإفريقية تضم جميع المنشورات المشتملة على النقوش التقليدية وكذلك الدراسات العلمية الحديثة التى تتناول شئون القارة الإفريقية.
- ٥ - الحصول على جميع الدراسات المتعلقة بتاريخ العالم وخصوصاً تاريخ منطقة الشرق الأوسط.
- ٦ - الحصول على جميع الدراسات الخاصة بتاريخ الطب والعلوم الأخرى المختلفة وإنجازات الحركة العلمية الحديثة.
- ٧ - إنشاء معهد عالى دولى للمكتبات أو غيره من معاهد أو مراكز البحوث والدراسات.
- ٨ - إنشاء قاعات لعرض القبة السماوية ولعرض تاريخ الكتابة وأدواتها ووسائلها وقاعات للموسيقى.
- ٩ - إنشاء قاعة لتخليد الأعلام من رجال الفكر والعلم فى التاريخ الإنسانى.
- ١٠ - إنشاء مكتبات للأساطوانات والأفلام وأرشيف للمصور والشرائح التصويرية للشخصيات والمعالم ذات الأهمية فى المنطقة.
- ١١ - إعداد شبكة إلكترونية لتبادل المعلومات مع مكتبات العالم والجهات الخارجية.



١٢ - إعداد فهرس متكاملة بالكمبيوتر فى شتى مجالات أنشطة الهيئة.

١٣ - إنشاء مركز للوثائق والإحصاء.

١٤ - إنشاء مطبعة حديثة تزود بأحرف الكتابة الهيروغليفية واليونانية واللاتينية والعبرية وغيرها ومجموعة متكاملة للرموز والعلامات العلمية والرياضية.

١٥ - إنشاء ورشة لصيانة الكتب وترميمها وتجليدها وتقديم جميع التسهيلات للتصوير بأنواعها المختلفة.

كان المفروض أن تفتح المكتبة فى يوليو ١٩٩٥ حسب الخطة المرسومة لها والتي يشملها الجدول المعلن من قبلها بامتى ألف كتاب وألف وخمسمائة دورية ولكن بما أنه قد انقضى ذلك الأجل بخمس سنوات ولم تفتح المكتبة فإننا نتوقع أن يكون رصيد المكتبة الآن قد وصل إلى ٤٠٠,٠٠٠ كتاب و ٣٠٠٠ دورية ولكن الحقيقة ورغم تكتم إدارتها عدد الكتب التي تم اقتناؤها وإعدادها، وعدد الدوريات فإن المكتبة لم تجمع حتى الآن مائة ألف مجلد وألف دورية، ولأننا لا نعرف متى تفتح المكتبة حتى الافتتاح المبذول التجريبي فإن ما جمع من كتب ودوريات هو أقل بكثير مما قدر له.

وهناك أسباب ونتائج فى نفس الوقت لهذا التباطؤ فى جمع المكتبات، ومن الأسباب الرئيسية عدم وجود تحديد قاطع لهوية المكتبة وبالتالي عدم تحديد من سوف تخدمهم المكتبة وبالتالي عدم وجود سياسة للاقتناء، سياسة واضحة ومحددة وإذا كان القرار الجمهورى قد جاء واسعاً فى أهدافه فكان أجدر بإدارة المكتبة أن تضع لائحة داخلية تصوغ فيها أهدافها بدقة وتحدد هويتها بوضوح وترسم سياسة التزويد حسب الظروف والإمكانات والهوية ولكن ذلك كله لم يحدث فحدثت عشوائية التزويد وبهذا المجموعات. إن السبب الرئيسى فى هذا الأمر كله هو عدم وجود متخصصين فى المكتبات والمعلومات وبالتالي ترك الأمر يرمته إلى الهواة وغير المتخصصين.

ولقد طالب الدكتور عبد اللطيف إبراهيم أستاذ الوثائق فى كلية الآداب - جامعة القاهرة فى نشرة مكتبة الإسكندرية عدد يونية ١٩٩٢ بنقل المخطوطات وأوائل

المطبوعات الموجودة فى مكتبة بلدية الإسكندرية (مكتبة محافظة الإسكندرية الآن) إلى مكتبة الإسكندرية. وبالفعل تم نقل مجموعة المخطوطات إلى المكتبة الجديدة وقد تم ترميمها وصيانتها من التلف فى المعمل الذى قدمته إيطاليا هدية للمكتبة الجديدة كما جرى إعداد قاعدة بيانات بيلوجرافية لتلك المخطوطات التى تقترب من خمسة آلاف مخطوط. وسوف تتلو هذه الخطوة خطوات أخرى للحصول على المخطوطات وأوائل المطبوعات البعثرة فى أنحاء متفرقة من محافظة الإسكندرية مثل مخطوطات مسجد المرسى أبو العباس وغيره.

إن غياب تحديد هوية المكتبة يؤثر حتماً فى مسيرتها ولا بد بادية ذى بدء وقبل أن يستحصل الأمر من أن نقف وقفة علمية ونسأل أنفسنا سؤالاً مؤداه ماذا نريد لمكتبة الإسكندرية أن تكون:

هل نريدها مكتبة عالمية؟

هل نريدها مكتبة وطنية ثانية لمصر؟

هل نريدها مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية؟

هل نريدها مكتبة بحث متخصصة؟ وفى أى مجال؟

هل نريدها مكتبة عامة بديلة لمكتبة البلدية؟

بالنسبة للسؤال الأول وقد أجبتنا عليه من قبل بالاستحالة ومن ثم بالنفى، ونضيف هنا أنه لا توجد سوى مكتبة واحدة فى العالم يمكنها الادعاء بالعالمية وهى مكتبة الكونغرس التى أنشئت سنة ١٨٠٠م وقد وصلت مقتنياتها فى نهاية القرن العشرين إلى نحو ١٢٠ مليون قطعة ويعمل بها ستة آلاف موظف وتبلغ ميزانيتها الآن نحو نصف مليار دولار ولها مكاتب فى أنحاء متفرقة من العالم لجلب مصادر المعلومات لها من تلك الأنحاء، وتتمتع بالإيداع القانونى. هذه المكتبة يدخلها كل صباح نحو ٢٠,٠٠٠ قطعة بمعدل سبعة ملايين قطعة فى السنة ومع كل هذه الضخامة فى كل شيء إلا أن المكتبة لم تقل فى يوم من الأيام أنها تجمع كل، لأن هذا الكل مستحيل،

وربما تستخدم المكتبة كلمة (جل) أو (معظم) أو (أهم).

ورغم ضخامة وأماكنيات المكتبة البريطانية، والمكتبة الوطنية الفرنسية، ومكتبة لينين فى روسيا ومكتبة الدلايت فى اليابان فإن أياً منها لم يجرؤ على تحديد كلمة الكل أو كلمة العالمية هدفاً له يسعى إليه.

وبالنسبة للسؤال الثانى (مكتبة وطنية ثانية لمصر) نقول بأن لمعظم دول العالم مكتبة أم تعرف بالمكتبة الوطنية هذه المكتبة الوطنية تسعى إلى:

١ - جمع كل الإنتاج الفكرى الوطنى بكل صوره وأشكاله ولغاته ومستوياته ويساعدها فى هذا الصدد قانون أو تشريع يصدر لها يعرف بقانون الإيداع.

٢ - جمع عيون الإنتاج الفكرى الأجنبى أى أهم ما فيه وتحدد كل مكتبة الدوائر التى تدور فيها عملية اقتناء هذا الفكر الأجنبى من حيث العدد والشكل والموضوع والمستوى.

٣ - إصدار البليوجرافية الوطنية التى تحصر وتسجل وتصف الإنتاج الفكرى الوطنى.

ولظروف خاصة قد يكون فى الدولة الواحدة أكثر من مكتبة وطنية واحدة إما على أساس جغرافى أو أساس موضوعى أو أساس شكلى. كأن ترغب الدولة أن يكون هناك مكتبة وطنية فى مناطق مختلفة بها حتى لا يضطر المواطنون إلى الازدحام للعاصمة لاستخدام المكتبة الوطنية الوحيدة بها، كذلك قد ترغب الدولة فى تخفيف العبء على المكتبة الوطنية الواحدة فتضم هذا العبء موضوعياً على أكثر من مكتبة أو تقسمه شكلياً على أكثر من واحدة. تعدد المكتبات الوطنية على أسس مدروسة فى البلد الواحد قائم ومعمول به. ومن هنا فإن مكتبة الإسكندرية يمكن أن تصبح مكتبة وطنية ثانية لمصر بعد دار الكتب المصرية التى أنشئت سنة ١٨٧٠م، ونجد فى مكتبة بلدية الإسكندرية بفترة هذا الانحياز حيث أنشئت تلك المكتبة فى نهاية القرن التاسع عشر بعد دار الكتب المصرية وكانت تتمتع بالإيداع القانونى حيث تحصل على نسخة من كل ما ينشر من إنتاج فكرى مصرى طبقاً لأحكام القانون ٢٠ لسنة ١٩٣٦. فإذا أصبحت

مكتبة الإسكندرية الجديدة مكتبة وطنية لشمال الدلتا فإنها يمكن أن تستوعب مكتبة البلدية ومن ثم تستوعب قرناً كاملاً من الإنتاج الفكرى والمقتنيات وتتمتع بالإيداع القانونى وهو أمر سهل الوصول إليه وتحقيقه.

أما بالنسبة للسؤال الثالث وهو (مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية) فقد كانت هذه هى الصيغة المطروحة لمكتبة الإسكندرية طالما كان المشروع فى حوزة جامعة الإسكندرية أما بعد أن سحب من الجامعة وأعطى الصيغة الوطنية فإنه لم يعد فى الإمكان طرح هذه الصيغة مرة ثانية لأن المشروع أصبح أكبر بكثير من أن يكون مجرد مكتبة جامعة تخدم مناهج دراسية محدودة ومجتمعاً أكاديمياً محدوداً بل وميزانية محدودة تقصر عن الوفاء بالتزامات مكتبة كبيرة بهذا الشكل. ومن المعروف أن جامعة الإسكندرية قد صفت مكتبة الجامعة التى كانت تضم مجموعات الكتب ونقلت مجموعة المخطوطات والمخطوطات والكتب النادرة إلى ما يعرف بالمكتبة العلمية (الدوريات + المصغرات الفيلمية) والاعتماد الرئيسى الآن هو على مكتبات. الكليات وتعويضاً لجامعة الإسكندرية عن سحب المشروع وإعطائه الصيغة الوطنية قررت المادة السادسة من القرار الجمهورى أن تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علمياً وأكاديمياً وفقاً للنظم التى يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس الجامعة. وطبقاً لهذه المادة فإن الدعم يأتى من جانب الجامعة وليس العكس، إلا أنه من المفهوم لدى إدارة المكتبة أن توضع احتياجات الجامعة من الكتب وغيرها من المواد المكتبية موضع الاعتبار عند تزويد المكتبة بالمصادر كذلك فإنه من المقرر مد جسر أى كوبرى علوى بين المكتبة والمجمع النظرى للجامعة عبر شارع بورسعيد. ومن هذا المنطلق فإن السؤال المطروح بجعل المكتبة مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية لا مكان له وقد نبذ جانباً الآن.

أما السؤال الرابع (مكتبة بحث متخصصة وفى أى مجال) فقد لقى ارتياحاً عاماً لأنه أقرب إلى طبيعة المكتبة القديمة، التى كانت عبارة عن أكاديمية أو مركز معلومات يخدم الموسيون. ومن المعروف فى زماننا الآن أن المكتبة المتخصصة لا بد وأن تقتصر على مجال محدد تتعمق التجميع فيه وتخدم الباحثين والعلماء فى هذا المجال فأى المجالات ترى تصلح لكى تخصص فى المكتبة الجديدة. إن مكتبة مثل مكتبة الكونغرس أو

المكتبة البريطانية أو الفرنسية قد غطت ويتعمق جميع فروع المعرفة البشرية ومن فترة طويلة تمتد عبر قرون فهل تجد مكتبة الإسكندرية مجالاً تنافس فيه وتثبت وجودها وتبرز فيه المكتبات القائمة الراسخة سواء الوطنية أو الجامعية أو المتخصصة.

لقد رأى كل من الدكتور لويس عوض والدكتور محمد محمد أمان أن تخصص المكتبة في كل ما له علاقة بحوض البحر الأبيض المتوسط من جغرافيا إلى تاريخ إلى فلسفة إلى اجتماع إلى كيمياء وطبيعة وأدب ولغة... منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا. ومن هنا تحولت المكتبة فعلاً إلى مركز بحوث ودراسات متخصصة في هذا المجال ويمكنها أن تنافس فيه وتحافظ فعلاً على الصبغة العالمية وتنشد في نفس الوقت مساعدة دول حوض البحر الأبيض المتوسط كله، خاصة وأن هناك برامج للتعاون بين تلك الدول فعلاً سواء على مستوى الدول أو على مستوى المؤسسات كالجامعات مثلاً. ويطور الدكتور لويس عوض اقتراحه هذا باقتراح آخر يدعو فيه إلى إنشاء معهد علمي ينشأ بين أحضان المكتبة على مستوى الدراسات العليا بمنح درجة الدكتوراه في دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط.

أما بالنسبة للسؤال الخامس (مكتبة عامة بديلة لمكتبة البلدية)، فإن طرح صيغة المكتبة العامة يتطلب منا بادية ذى بدء أن نضع أيدينا على خصائص المكتبة العامة، حيث هي:

١ - تفتح أبوابها وتقدم خدماتها لجميع طوائف الشعب دون تمييز بين سن وسن وطبقة وأخرى وبين جنس ودين ودين ومستوى تعليمي وآخر.

٢ - تجمع مصادر المعلومات في جميع فروع المعرفة البشرية ومن كل الأشكال (كتب - دوريات - مواد سمعية بصرية - مصغرات فيلمية - ملفات الحاسب الآلي - أقراص الليزر - الوثائق)، ومستويات المعالجة المختلفة.

٣ - أنها تقدم خدماتها بالمجان وبدون أى مقابل، حيث هي خدمة عامة للشعب.

٤ - أنه لا إكراه ولا إجبار على ارتياد المكتبة العامة.

ومن هذه الخصائص نجد أن المكتبة العامة هي عمل محلي بحث ومن غير المقبول

أن نطلب مساعدات دولية لإنشاء مكتبة عامة، ومن جهة ثانية لا يوجد فى العالم مكتبات عامة مليونية إلا فى حالتين فقط هما مكتبة نيويورك العامة ومكتبة بوسطن العامة فى الولايات المتحدة. ومن ثم فإن تحويل مشروع عالمى مثل مكتبة الإسكندرية إلى مجرد مكتبة عامة قد يكون أمراً مرفوضاً على المستوى المهنى وعلى المستوى العالمى. ولذلك ينصح الخبراء بإبقاء مكتبة بلدية الإسكندرية كمكتبة عامة وعدم المجازفة والمخاطرة بتحويل المكتبة الجديدة إلى مكتبة عامة.

من هذه المنطلقات جميعاً فإن الصيغتين المقبولتين لهوية مكتبة الإسكندرية الجديدة هما: إما مكتبة وطنية لشمال الدلتا وإما مكتبة بحوث متخصصة فى دراسات حوض البحر المتوسط. وفى كلتا الحالتين فإن الصيغة البحثية ستكون من نصيب هذه المكتبة. والذين يرون أن تصبح مكتبة وطنية لشمال الدلتا يحزنون فى الوقت ذاته إنشاء مكتبة وطنية ثالثة فى جنوب الوادى وبالتالي يصبح لدينا ثلاث مكتبات وطنية لتغطية مصر كلها: دار الكتب المصرية بالقاهرة؛ مكتبة الإسكندرية الجديدة؛ مكتبة جنوب الوادى ويقترحون لها مدينة سوهاج على أن مكتبة رفاعة رافع الطهطاوى نواة لها بما فيها من مقتنيات رائعة مخطوطة ومطبوعة.

ومن جانبى فإننى أميل إلى رأى القائل بجعل مكتبة الإسكندرية الجديدة مكتبة بحوث متخصصة فى دراسات حوض البحر الابيض المتوسط حيث يمكنها المنافسة فيه وشرق طريقها إليه.

فإذا حددت هوية المكتبة على أى نحو من النحويين السابقين فإن من السهل بعد ذلك رسم سياسة التوريد بمتهى الاطمئنان والتحديد ومن ثم يمكن تشكيل أنواع الخدمات التى تقدمها المكتبة ونوع المستفيدين الذين يفيدون من تلك الخدمات.

ولقد بلور الرئيس حسنى مبارك فى خطبته فى ختام الاحتفال بصدور إعلان أسوان التاريخى العالمى فى ١٢ من فبراير ١٩٩٠ هذا المعنى حين قال:

«نرجو أن تضم مكتبة الإسكندرية الأكاديمية كل الوثائق والموسوعات والمؤلفات القديمة والحديثة التى تتصل بمصر وحوض البحر المتوسط وإفريقيا والشرق الأوسط مع الاهتمام بصفة خاصة بالإسكندرية».

# ريسيقر سترونج

لأول مرة  
فى مصر

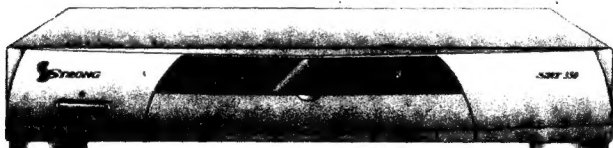


## STRONG (الشبح)

٢٠٠٠ قناة

يكتب باللغة العربية

أول ريسيقر ديجيتال يعمل بالقيدهورن  
الوحيد بضمان الوكيل نقداً وبالتقسيط



خصم خاص

بمناسبة الأعياد

لأول مرة .. إمكانية نسخ  
ريسيقر من ريسيقر

### نادى الالكترونيات

الإدارة: القاهرة ٤ أش الممالك روكسى مصر الجديدة ٢٥٨٤٣٦٥  
فرع الزقازيق: شارع شيخ الكفر بجوار الكوبرى الجديدة ٢٥٦٠١٢

مع تحيات **جمعية المسلمين**

# DAEWOO

## تقسيم أبسط من أبسط

يبدأ من ١٠ جنيه فقط  
ويدون مقبداً

١٠ مركز خدمة  
ضمان ١٠ سنوات



٢٩ بوصة  
٢٥ بوصة  
٢١ بوصة  
٢٠ بوصة  
١٤ بوصة

فيديو عرض وتسجيل  
وفيديو عارض وإمكانية تسجيل

راديو كاسيت مع CD  
وراديو كاسيت مزدوج

## تلفزيونات وفيديوها ت و راديو كاسيت دايو

لدى جميع المرواح

شركة الأزياء الحديثة (بنزين - علم - ويلي) - معسكر الهندى - شركة الأزياء الراقية (الصالون - هلو - شيكول)

المسوق المسمى

شركة الأفق الجديد (محمود رمضان وشركاه) - تليفون: ٢٠١٧٨٩٢ / ٢٠٢٨٢٩٤

## شركة بنها للصناعات الإلكترونية



مبنى التجارة الدولي،  
الاسكندرية،  
٢٠٥٧٢٩٠،  
١٣/٢٢٣٨٦،  
٢٥/٢٤٤٥٤

٢٠٥٧٥٩٢،  
٢٠٥٧٢٨٦،  
٢٠٥٨١٧٠،  
٢٠٢٤٦٥٨٩٩

32

1

0627715

